وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة
في الدورة السابعة والاربعين
١٩٨١

للدكتور عدنان الخطيب
عضو المجمع المؤازر

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته السابعة والأربعين بمدينة القاهرة ، في المدة الواقعة من ١٨ ربيع الآخر ، الموافق ٢٣ من شباط (فبراير) حتى ٣ من جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، الموافق ٩ من آذار (مارس) سنة ١٩٨١ م ؛ عقد خلالها اثنتي عشرة جلسة ، منها جلستا الافتتاح والختام .

وفي ما يلي عرض موجز لاهم ما دار في المؤتمر من ابحاث واتخذ من مقررات :

اولا ــ جلسة الافتتاح

كانت جلسة الافتتاح علنية،حضرها جمع من رجال الفكر والأدب ومحبي العربية ، والقيت فيها كلمات ترحيبية ، كما عرضت أعمال المؤتمر في دورته السابقة ، والتطلعات المرجوة منه في هذه الدورة .

افتتح الجلسة **الدكتور ابرهيم مدكور رئيس المجمع** ، وبعد أن رحب بالاعضاء المشاركين في المؤتمر ، القى كلمة قال فيها : « **لقد شاء برنامج مؤتمرنا هذا العام أن يوجه النظر نحو لغة العلم** ، وقد استجاب له غير واحد من السادة الباحثين . ولا شك في اننا نعيش في عصر العلم والتكنولوجيا . ولم يحظ البحث العلمي قط ، في التاريخ قديمه وحديثه ، بتلك الخطوات التي حققها في العصر الحاضر . . » واردف يقول : « وظن

خطأ انه **ليس في وسع العربية أن تتابع هـذا السير الحثيث ، وان تؤدي رسالة العلم الحديث** . وربما كان هذا من الأسباب التي دعت الى تكوين المجامع اللغوية . . » وبعد ان ألمح الأستاذ الرئيس الى رسالة المجمع في تطوير اللغة والنهوض بها ، استدرك قائلا : « ولكن **من الخطأ أن يُظَنّ أن المجمع مصنع الفاظ ومصطلحات ، بل جلّ همه أن يسجل ما استقر عليه عرف العلماء والمتخصصين ، ما دام لا يتعارض مع أصول اللغة** » .

وبعد أن عدد الأستاذ الرئيس بعض القواعد التي أخذ المجمع بها في وضعه للمصطلح العلمي ، من مثل اجازته الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وقياسية المصدر الصناعي ، واباحة دخول « أل » التعريف على « لا » النافية ، قال : « . . **وفي ضوء هذا أقر المجمع عشرات الألوف من المصطلحات العلمية** ، وأخرجها في مجموعات سنوية صعدت الى اثنين وعشرين مجلدا ، يضاف اليها كل عام مجموعة جديدة » . وختم الرئيس كلمته قائلا : « ولم يُهمِل المجمع لغة الفن والأدب ، فتلك هي رسالته الأولى . . » .

ثم قرأ **الدكتور مهدي علام الأمين العام للمجمع** تقريره السنوي ، موجزا فيه الكلام عن نشاط المجمع خلال العام الماضي ، بادئا بما تم في المؤتمر السابق من اعمال وما صدر عنه من توصيات ، ثم عرض الجهود التي بذلها مجلس المجمع ولجانه المتخصصة والتي ستعرض على المؤتمر في هذه الدورة .

ثم عَدَّد الامين العام المطبوعات التي اتم المجمع طباعتها والتي هي قيد الطبع . ثم أشار الى افتقاد المجمع اثنين من شيوخه ، وهما المرحومان الدكتور أحمد بدوي والشيخ محمد الفحام ، والى فوز الدكتور محمد توفيق الطويل بالانتخاب الذي جرى لملء ما شغر من مقاعد مجمعية .

ثم الح الى فوز كـل من عضوي المجمع الأستاذ عبـد السلام هارون بجائزة الملك فيصل العالمية ، والدكتور محمد محمود الصياد بجائزة الدولة التقديريـــة .

ثم تحـدث **الدكتور عمر فروخ باسم الوافدين علـى المؤتمر** ، عن الجهود التي يبذلها المجمعيون في خدمـة لغة القرآن الكريم وفي الدفاع عنها ؛ ومـا لبث أن نفث عن صدره صارخا : « وانا الآتي من لبنان يؤلمني ان أقول : **أن اللغة العربية تخوض عندنا اليوم حربا عوانا** ؛ ففي (الراديو) وفي (التلفزيون) لا نجد الفصحى الا في نشرات الأخبار وفي عدد من الأحاديث الوقورة ، مما يستمع اليـه قلة من الناس ، أما برامج الترفيـه التي تصل الى الكثرة من المستمعين فانها تذاع بغـير اللغة الفصحى » . واردف يقول بلسان كل عربي : « وادعى من هـذا كله الى الأسى البالغ أن الأخبار التي تذاع من عـدد من المحطات الأجنبية أفصح ألفاظا وأقوم تركيبا واصح اعرابا ممـا اسمعه عندنا في نشرات الأخبار » .

وختم الدكتور فروخ كلمته **مهيبا بمجامـع اللغة العربية الى المبادرة الى حماية اللغة العربية مـن الأعاصير الهابة عليها من الشرق والغرب** ، ودعا القادرين على حمايتها بأيديهم الـى النهوض بواجباتهم ، فان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

★ ★ ★

ثم ألقى الشاعر الاستاذ محمد عبد الغني حسن قصيدة من روائعه ، ضمنها ترحيبا بأعضاء المؤتمر ، وتمجيدا للعربية ، **ودعوة الى أبنا العروبة للحب والتآخي ونبذ الفرقة والشتات** ، كما ضمنها بكاء لحال العربية وما تلقاه من عدوان اعداء ، ونكاية ابناء . وكان مما ورد فيهـا :

يـــا رفيقـــيَّ سَقّيانـــي وهاتـــا ... رشفـــة في فمي تـــرد الحياةَ

يـــا رفيقـــيَّ هَيِّئا لـــي بساطا ... انني ظامىء..فهاتا .. وهاتا..

واديرا الهوى ... صَبوحا غبوقا ... وعشيًّا ، وبكرة ، وغداةَ . .

اننا ههنـــا نلوذ مـــن « **الضا** ... **د** » بحصن نرجو عليه النجاةَ

اننا ههنا الـــى الحب ننحـــو ... قبلَ ـــ والله ـــ ان نكون نُحاةَ

(**لغة الضاد**) وَحَّدَتْنا قديمـــا ... لا ارتنـــا فيها الحيـــاةُ شتاتا

فهي كانـــت للسامعين حـــداءً ... وهي كانـــت للخاشعين صـــلاةَ

وهي كانت للهائميـــن على البيـــــــــداء فيئا ومـــوردا ونباتا . .

وَسِعت رقعـــة الجزيرة رمـــلا ... وكثيبـــا ، وواحـــة ، وفـــلاةَ

ثم مَدَّت الـــى الحضارة كفًّـــا ... فأفاءت ظِلاًّ ، وأحْيَـــت مواتا

نَبَّهت نُوَّمًا على صحوة « **الإسـ** ... **لام** » دينًا ، وايقظتهم غُفـــاةَ

حَطَّمت بالايمان راس « سُواعٍ » ... وجناحَيْ « نَسر » وذيل « مَناةَ »

واتت بـ « **الكتاب** » سمحا وضيئا ... عربيًّـــا ، وبالمبيـــن اداةَ . .

وَقَعَ اللـــهُ لَحْنها فاسترقَّـــت ... نغماتٍ ، واستحصَدَتْ اصواتا..

★ ★ ★

وسعت ساحةَ العلوم فما كـــا ... نت نُزورا ، ولـــم تكن مِقلاتا

حينما قَدَّمَتْ الى العلـــم شيئا ... لـــم تُقَـــدِّم بضاعـــةً مُزجـــاةَ

انما قدَّمت الـــى الدهر ما كا ... ن بحـــق لفخرنا مدعاةَ . .

ايها الباسطون ايـــدي التآخي ... لم تكونـــوا للحب الا دُعـــاةَ

★ ★ ★

التقيتم هنـــا . . فكنتم عدولا ... وشهودا علـــى الهوى أثباتـــا

لم تَزِدْكُـــم مرارةُ الخُلْـــفِ الا ... قُربـــةً للالـــه او إخباتـــا

ان يكن بعضُنا يميل الـــى الهد ... م فمـــا زلتمو البُنـــاةَ الرعاةَ

بيتنا واسع الرحاب . . فأهلا ... بالذي زارنا ، ووافى ، ووانى..

★ ★ ★

ثانيـــا : المصطلحات العلمية

عُرضت على المؤتمرين خلال الجلسات التي كانوا يعقدونها يوميا ، المصطلحات الفنيـــة والعلمية المرفوعة الـى المؤتمر مـــن قِبَل اللجـــان المتخصصة ، بعد ان أقرَّهـــا مجلس المجمع . ودرس المؤتمرون تلـــك المصطلحات وأقروا غالبيتها مُجمعين عليهـــا ، وبعضا منها بالاكثرية ، كما اقروا بعضا آخر بعد تعديله ، وأعادوا عددا منها الـــى اللجنة التي صدر عنها لأعادة دراسته في ضوء المناقشات التي دارت حوله .

وبلغ عـــدد المصطلحات التي عرضـــت على المؤتمرين (١١٩٨) مصطلحا موزعة بين العلوم والفنون كما يلـــي :

١٩١ مصطلحا في علم الفيزياء (الفيزيقا)
٢٩ مصطلحا في علم النبات
١٢٦ مصطلحا في علم الكيمياء
١٢٨ مصطلحا في علم الصيدلة
١٢٨ مصطلحا في علم الرياضة
٦٤ مصطلحا في علم التربية
٦٢ مصطلحا من الفاظ الحضارة
٨٢ مصطلحا في علم الحيوان
١٧٥ مصطلحا في العلوم الطبية
٦٣ مصطلحا في علم التاريخ
٥٣ مصطلحا في علم الجيولوجيا
٩٧ مصطلحا في علم المياهيات (الهيدرولوجيا) .

ثالثـــا ـــ البحـــوث

القى عدد من الاعضاء ، خلال مدة انعقاد المؤتمر ، بحوثا قيمة في موضوعات شتى . وفيما يلـــي عرض موجـــز لها،مع خلاصة لمـــا دار حولها مـــن مناقشات وتعليقات :

١ ـــ **لغة العلـــم** : بحث للدكتور عمر فروخ وثّقه بآيات بينات ليثبت ان **اللغـــة العربية لغة واحدة ، يستطيـــع المرء ان يبين بها عـــن شتى الأغراض والمعارف** ، واذا مـــا استثنينا مصطلحات العلوم مـــن جهة ، ومعالم البيان ومحسّنات اللفظ من جهة ثانية ، فان لغـــة العلم تبقى نفسها هي لغة الأدب ، ولا طائل من التفريق بينهما،وخصّ الواحدة منهما بالبحث والـــدرس .

واكد الباحـــث على أن خدمة « لغـــة العلم » **لا تكون الا بخدمـــة الفصحى** ، لغة علـــم وأدب على حد سواء ، لان اللغة في كـــل منهما لا تختلف عن الاخرى الا بمقدار ما يلتزم العالم في لغته بالوضوح والسهولة ، او بمقدار ما يُلزمُ الأديبُ نفسَه باستخدام المجازات والمحسّنات اللفظية .

وأثار البحث عدة تعليقات ومناقشات،اشترك فيهـــا كل من الرئيس الدكتور ابرهيم مدكور ، والاساتذة توفيق المدني ، وعز الدين عبد الله ، واحمد الحوفي ، وعبد الرزاق محيي الدين ، والحبيب ابـــن الخوجه ، ومهدي علام . وكان المعلقون يجمعون ، خلافا لراي صاحب البحث ، على ان للعلم اسلوبه الخاص ، ومن ابرز معالمه : **الدقة والسهولة والوضوح** ؛ وهو بهذا يختلف عن الأسلوب الأدبي الذي يستطيع كل اديب ان يطبعه بطابع خاص ينفـــرد به .

٢ ـــ **في الدين والدنيا** : قصيدة للدكتور حسن علي ابرهيم ، بكى فيها شبابا رحل وزمنا فسد ، ونَدَّد بعدوٍّ فَجَر وصديق غدر ، **ثم هزىء**

بدنيا تغيرت فيها القيم وانقلبت فيها المفاهيم ، ولا منجاة لأحد من دنسها الا باللجوء الى الله مع الامل في عفوه ورحمته .

والقصيدة في مجملها من عيون الشعر الوجداني ، تكسوها مسحة من صوفية تدل على نفس مطمئنة راضية بايمانها العميق . وكان اثرها في نفوس المؤتمرين بالغا، فهبوا الى تقديم شكرهم الخالص لزميلهم الطبيب الشاعر مع تهانيهم القلبية .

٣ ــ **من غرائب الأساليب** : بحث للأستاذ سعيد الأفغاني، عرض فيه بعض المأثور من الأساليب المستغربة في تاريخ الأدب العربي ، وقد شاعت بين الناس منذ زمن طويل ؛ وجاء الباحث بطُرَف سَجَّلها بعض الكُتّاب عن **بواعث هذه الظاهرة في الأساليب** ؛ ثم بيَّن كيف اصبحت غرابة الأسلوب عنوانا على اختلاف لغة العلم عن لغة الأدب ، وعزا شيوع ذلك ، منذ المئة السادسة **الى العلماء ، وعلماء النحو منهم بخاصة** ، الذين نظموا الأراجيز الألفية بقصد تسهيل حفظ العلوم على طلابها ، وجاء الشراح والمحشون من بعدهم فزادوا الإغراب تعقيدا بدافع التعالُم والاحتفاظ للعلماء بمكانة مرموقة .

ثم عرض الباحث نصوصا حديثة تؤيد غرابة أسلوب بعض الكُتّاب في العصر الحاضر ، رغم انه كان يعتقد بانتهاء أمر مثل هذه الأساليب .

وجرت تعليقات طريفة على البحث اشترك فيها الاساتذة : عبد الرزاق محيي الدين ، ومهدي علام ، وأحمد الحوفي ، ومحمد عبد الغني حسن ؛ وذكر بعضهم غرائب من اساليب المعاصرين ؛ وقد اختلفوا في بواعث هذه الظاهرة والدوافع الى اقترافها ، فردها البعض الى ما يطلق عليه اسم « الرمزية » وأكد آخرون على ان مصدرها يكمن في

العجز عن الأداء ، بينما اشار بعضهم الى ان معرفة اسباب الظاهرة يدخل في اختصاص علماء النفس .

٤ — **من وحي الزيادة في القرآن الكريم** : بحث من ابحاث الأستاذ على النجدي ناصف القَيِّمة ، التي عود المؤتمرين على سماعها في كل مؤتمر .

تناول الباحث المقصد البلاغي من زيادة اسم الاشارة في المأثور من الشعر العربي ، وفي مثل قوله الله عز وجل :

(أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُوْنَ) (١) .

وكذلك زيادة (لا) النافية في قوله تعالى : (فلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُوْمِ ★ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُوْنَ عَظِيْمٌ) (٢) أو تكرار بعض الجمل في مثل قوله عز من قائل : (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (٣) .

وافاض الباحث في كلامه مؤكدا على ان هذا التكرار وتلك الزيادات ما جاءت عبثا ، بل كل ذلك انما **هو جزء من المعنى المقصود في التنزيل العزيز**

واثنى الدكتور شوقي ضيف أشد الثناء على البحث القيم ، معلنا اتفاقه التام في الراي مع الباحث فيما اورده من نفي لوجود حروف للزيادة ، مؤكدا على انه لا يشعر عند تلاوته آية (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) المتكررة بأي ضرب من الزيادة ، لانها ترد كل مرة بعد ذكر نعم أو آلاء مختلفة ، وكأن كل آية منها تستقل بمعنى جديد ، تأكيدا **لنعم الله التي لا تحصى** .

---

(١) الآية (٥) من سورة الرعد (١٣) .
(٢) الآية (٧٥) من سورة الواقعة (٥٦) .
(٣) الآيات (١٣ — ١٧) من سورة الرحمن (٥٥) .

واضطر الباحث بعد هذا التعليق لايضاح لبس قد يقع امرؤ فيه، من قرن بحث التكرار مع بحث زيادة الحروف فقال : ان التكرار ليس من الزيادة اصطلاحا ، ولكنه يُعَدُّ منها في المعنى ، لان التكرار اعادة ، والاعادة ضرب من الزيادة ، ولو أنها للتوكيد .

٥ ــ **خطأ القياس** : بحث للدكتور اسحُق موسى الحسيني . تحدَّث فيه عن العوامل التي تؤدي الى خروج بعض الفاظ اللغة عن دلائلها المألوفة ، ودخول معان جديدة عليها تخالف معانيها السابقة . وجاء بأمثلة عن الفاظ متداولة ، اغلبها كان قد تسَرَّب الى لغتنا المعاصرة نتيجة **ضعف المترجمين عن اللغات الأوروبية،أو نتيجة تسرعهم في الترجمة .**

وعرج الباحث على مفهوم تطور معاني الالفاظ في اللغة ، ولم ينكره بالنسبة للعربية ، لان التطور سُنَّة الحياة ؛ ولكنه انكر أشد الانكار ما ينجم عن الترجمة المتسرعة بسبب قياس خاطىء بين العربية واللغة المترجم عنها ، من ظهور الفاظ خاطئة في دلالتها ، أو اساليب غير متفقة مع أصول العربية وقواعدها ، ولا تلبث أن تألفها الجماهير ، رغم ما يشوبها من عيب ، بتأثير **وسائل الاعلام الحديثة .**

وتساءل الباحث عما اذا كان من الممكن وضع **قواعد وضوابط لتصويب (٤) الألفاظ الخاطئة،وتقويم الاساليب المنحرفة عن الاصول العربية،** وذلك حفاظا على الفصحى التي نعتز بها ، ومن أهم واجباتنا حمايتها من كل فساد .

---

(٤) التصويب بمعنى تقويم الخطأ وتصحيحه ليس في مسموع اللغة ولم تثبته المعاجم مقتصرة على مفهوم : الحكم بالصواب ، غير انه شاع من أوائل هذا القرن ، فاثبته المعجم الوسيط على أنه مولد ، والمتزمتون يستنكرونه . وعرض هذا المعنى على المؤتمر في دورته السابقة فأقر قبوله لانه يتفق مع قواعد وأصول اللغة ، التي تقر بأن التعدية بالتضعيف تحمل معنى الجعل والصيرورة ــ انظر قرار المؤتمر في الدورة (٤٦) والتعليل الذي قام عليه قرار لجنة الالفاظ والاساليب.

وأخيرا ناشد الباحث المؤتمرين **الحدّ من تخريج أمثال تلك الالفاظ والاساليب ، ومنحها شرعية البقاء ، والدخول في المعجم العربي** ، الا اذا وجدت ضـــرورة قصوى .

ولقي البحث استحسانا في نفوس كثيرين من أعضاء المؤتمر ، ولكنه أثار عاصفة من التعليقات المتباينة . وقد وافـــق الرئيس الدكتور ابرهيم مدكور الباحث علـــى كثير من نظراته المبنيّة على متابعة شخصية ، وتساءل مستنكرا : **هل للغيرة على اللغة أن تمنع من تبادل مفاهيم بعض الكلمات مع لغة اخرى اذا كانت بحاجـــة اليها** ؟ ثم أيّد الباحثَ في وجـــوب عدم الاسراف بالأخذ بالجديد مـــن الأساليب والمفاهيم ، مشيرا الـــى جهود لجنة الألفاظ والاساليب وعطائها الملموس ، موضحا منهجها،ويتلخص في : « ان الجديد الذي يعيش مـــدة بسيطة لا يُهتَمّ به ، ولكـــن الجديد الذي يعيش مـــع الناس ويدخل في التعبير والأفكار مدة طويلة ، يجب ان يُبْحَث له عن سند وأرض يقـــف عليها » .

وعلّق الدكتور مهدي علام على البحث **بصعوبة الاخذ بما يطالب به الباحث من وضع ضوابط للأخذ بالجديد** . على انه يرى شخصيا التفريق بين ما يسمى بـــ « الفرملة » (٥) وما يسمى بـــ « العرقلة » ؛ فالأولى مقبولة لانها تمنع الجموح ، أما الثانية فمرفوضة لانها تمنع من تطـــور اللغة . وأتى بأمثلة ، كان هو نفسه طرفا في حصولها ، مستشهدا بهـــا على أنها عرقلة غـــير مقبولة لانها غـــير منطقية .

---

(٥) فرمل فعل من الدخيل تستعملـــه العامة في مصر بمعنى (كبـــح) وقد اثبته المعجم الوسيط في طبعته الاولى وأشار الى أنه من الدخيل ، كما أشار الى عامية (الفرملة) في تعريفه (الكباحـــة) ولكنه في الطبعة الثانيـــة حذف فعل (فرمل) واثبت كلمـــة (الفرملة) في تعريفه لكلمة (الكباحـــة) دون اشارة الـــى عاميتها .

وانتهت المناقشات بتأكيد من الباحث على أنه شخصيا ليس من انصار الجمود ، ووضع قواعد غير عقلانية ، ولكنه يدعو الى **كبح رغبة من يرى تبرير** (٦) **كلّ لفظة تشيع على الألسنة** ، وكلّ أسلوب غريب ولو كان مخالفا لاصول العربية وقواعدها .

٦ ــ الاكتفاء بجملة التذييل عن جواب الشرط في القرآن الكريم :

بحث للدكتور أحمد الحوفي ، عرض فيه جوانب هذا الموضوع النحوي الهام ، مبينا أن من جملة أساليب البلاغة عند العرب حذف جواب الشرط اكتفاء بالشرط نفسه ، أو بالذيل أو بما يشبه الذيل ؛ غير أن الشواهد على هذا الاسلوب **قليلة فيما وصل الينا من الشعر العربي** ، أو فيما بين ايدينا من نثر البلغاء ، بينما شواهده في القرآن الكريم عديدة (٧) . ومن الامثلة التي جاءت في التنزيل العزيز :

١ ــ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (٨) فجواب (اذا) هنا محذوف **اكتفاء بدلالة الآية التالية عليه** وهي ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ .

٢ ــ ﴿ إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩) وجواب (ان) في هذه الآية محذوف **اكتفاء بمفهوم ما**

---

(٦) التبرير بمعنى التسويغ والتزكية لم ترد في القديم من معجمات العربية ، واثبتها المعجم الوسيط على أن هذا المعنى (محدث) ثم عرض أمر هذه الكلمة على مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والثلاثين فاقر المعنى الجديد استنادا الى قياسية تضعيف الفعل للتكثير والمبالغة .

(٧) كلمة (عديدة) تعني : معدودة ، كما ورد في الامهات من المعاجم ، غير أن مؤتمر المجمع ، في دورته الثالثة والاربعين اقر المعنى الشائع للكلمة اي (كثيرة) وقد اثبت المعجم الوسيط هذا المعنى للكلمة .

(٨) الآية (٤٥) من سورة يس (٣٦) .

(٩) الآية (٣٧) من سورة النحل (١٦) .

بعـــد الشرط وتقديره : (فاعلـــم ان من اضلّه اللـــه فهو لا يهدى بحرصك) .

٣ ــ ﴿ وَلَـــوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُـــمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّـــهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾ (١٠)
وجواب (لـــولا) هنا محذوف **اكتفاء بمفهـــوم السياق** وتقديره : (لفضحكم وعاجلكـــم بالعقوبة) .

وجرت تعليقات على البحث من قبل بعض المؤتمرين، فأثنوا علـــى الباحث وشكروا له بحثه الجيد . واعترض الاستاذ عبد العزيز السيد على اشارة الباحث الـــى الشواهد على الموضوع في الشعر العربي، اذ لا قيمة لأي شاهد أمام التنزيل العزيز . فرد عليه بأن أمـــر الاستشهاد بالشعر العربي في تفسير القرآن الكريم امر **فرغ علمـــاء العربية والدين من اقراره** والاخـــذ بـــه .

٧ ــ **عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي** : بحـــث للاستاذ احمد توفيق المدني، ترجم فيه لأحد كبـــار علماء الجزائر في الفقه المالكي، ومن رجال المئة التاسعة للهجرة ، واصفًا اياه بانه **كان في الجزائر مثل ابي حنيفة النعمان في بغداد .**

بدأ الباحث الحديث بمقدمة عن تاريخ هجرة القبائل العربية الـــى المغرب ، وكان منها « **الثعالبة** » وهم بطن من « **بني هلال** » ، وفيهم وُلِد عبد الرحمن سنة ٧٨٥ وتوفي قبـــل سقوط الأندلس سنة ٨٧٥ ، ودفن في مدينة الجزائر، ولـــه فيها ضريح شهير يزار (١١) .

---

(١٠) الآية ﴿ ١٠ ﴾ من سورة النور (٢٤) .

(١١) ترجم للثعالبي أحد معاصرينا أحمد عطية الله صاحب « القاموس الاسلامي » وقال : وينسب اليـــه مسجد سيدي عبد الرحمن الذي شيـــده الداي احمد سنة ١٦٩٦ م .

وعدد الباحث من مؤلفات المترجم له تفسيره للقرآن الكريم ، وأكثر من ثلاثين مؤلفا بعضها مطبوع أو معروف وبعضها مفقود .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكور للباحث فضله بالترجمة لهذا العالم الجزائري ؛ والترجمة لأمثاله جزء هام من **رسالة التعريف بالعظماء** الذين اسهموا بتكوين تراثنا العلمي محل فخرنا واعتزازنا .

وشكر الأستاذ محمد عبد الغني حسن للباحث بحثه الممتع ، وعلق عليه **بخاطرات سريعة** تضمنت لفت الأنظار الى شخصيات جزائرية تاريخية هامة ، مشيرا الى كل من الأمير عبد القادر الجزائري ، وحفيده جعفر الحسني ، والشيخ طاهر الجزائري (١٢) ، كما أشار الى ثعالبي آخر معاصر هو عبد العزيز (١٣) ، مبديا استغرابه من اغفال السخاوي صاحب « **الضوء اللامع** » الترجمة لعالم مثل عبد الرحمن الثعالبي موضوع البحث القيم (١٤) .

٨ ــ **ابن سينا اين اخطأ واين اصاب** : بحث للدكتور حسن علي ابرهيم تضمن وصفا لشعور طبيب حديث التخرج قرأ كتاب « القانون » لابن سينا ، تدفعه الرغبة ويصدّه الملل ؛ كان يفهم شيئا وتفوته أشياء ، فلما شاب صدغاه وهو يمارس الطب ويتابع تقدمه ويراقب ثغراته ، متصدرا زملاءه في تدريس بعض علومه ، عاد الى قراءة الكتاب فأبهره

---

(١٢) ان كلا من الشيخ طاهر الجزائري وجعفر الحسني من مواليد دمشق ، وفيها عاشا ثم دفنا ، وكانا عضوين في مجمع دمشق ؛ فشاميتهما واضحة وغالبة على أرومتهما الطيبة التي دفعت باسميهما الى خاطرة الزميل الكريم .

(١٣) ان عبد العزيز الثعالبي هو أيضا من مواليد تونس وفيها دفن ، وكان من زعمائها وتونسيته غالبة على أرومته .

(١٤) كان الزميل متسرعا في ابداء هذا الاستغراب لان السخاري ترجم للثعالبي ، وكانت ترجمته مصدرا لكل من جاؤا بعده وترجموا له . انظر ص (١٥٢) من الجزء الرابع من الضوء اللامع ، من الطبعة المصرية المصورة .

ما حوى وادهشته عبقرية فذة سبقت زمنا عاشت فيه بأزمان ، وتبين له انه لا يصاحب أحد معلمي الطب فحسب ، بل هو يقف امام **أحد عمالقة الفكر الانساني** .

وقف الباحث وقفة غير قصيرة عند مطلع الفية نظمها ابن سينا في علوم الطب حيث يقول :

الطبُّ حِفظُ صِحّةٍ بُرْءُ مَرَضْ من سبب في بدن لقد عرض

وقف الطبيب المجمعي ليحدث زملاءه قائلا : « وهذا يعني ان الطب ليس علاجا فقط ، وانما هو حفظ الصحة وتجنب الامراض أيضا ؛ فأشار بذلك الى ما نسميه الان **علم الصحة العامة والطب الوقائي** ، وهو ما لم يكن في مفهوم الطب في عصر — ابن سينا — واظنه اول طبيب اشار الى اهمية الهواء والرياضة ونوع الغذاء في منع الامراض وعلاجها ، وهو ما نسميه اجمالا اليوم **بالعلاج الطبيعي** » .

وهكذا مضى الباحث في حديثه عن ما ادهشه في كتاب « القانون » يشرح لزملائه ما لا يفهمه غير الطبيب بدون شرح . وكان مما قاله : « . . كان ابن سينا دقيق الملاحظة الى ابعد حد ، ووَصْفُه للأمراض واعراضها رائع ، حتى تشعر وانت تقرأ كتابه انك تقف بجواره ومريض من مرضاك وهو يصف دقائق المرض . . » وبعد ان عرض صورا وجدها في الكتاب قال : « هذه بعض الأمثلة اسوقها ولا استطيع الاسترسال في سرد عظمة هذا الرجل الطبية ، لان ذلك يستغرق كتابا آخر في حجم كتابه ، ولكني انتقل الى الجانب الآخر الذي اخطأ فيه . . . ولو ان الذنب ليس ذنبه ، اذ ان كله تقريبا منقول عن اليونان ولهم العذر . . . » ثم اردف يقول : « . . كذلك اعجبني من الرجل امانته في النقل واحترام

السَلَف ؛ فكان ينسب دائما الـــى جالينوس ، وحتى الى غيره من نكرات الأطباء اليونيين ، كل صغيرة وكبيرة نقلها عنهم . . . » .

وقبل أن يختم المتحدث بحثه قـــال : « ترى ماذا يقول الطبيب بعد الف عـــام من يومنا اذا قُدِّر له أن يقرأ كتبنـــا التي نتدارسها الان ؛ هذا اذا لم يُفْـــنِ الانسان نفسه بغبائه واطماعه قبل ذلك بكثـــير ؟ ! » وتابع يجيب عن هـــذا التساؤل : « **لا شك انه سيضحك من جهلنا** ، وقد يجد ان كثيرا مما كتبناه غـــير مفهوم له ، ويكفيني ان اقول : **ان أعاجيب تمت اليوم ـــ في الطب ـــ لم اكن لاحلم بها وانا حديث التخرج** . . » .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكـــور باسم الزمـــلاء المستمعين للطبيب الأديب مـــا امتعهم به من علـــم وفكر وحسن عـــرض لبعض جوانـــب تراثنا العربـــي الخالد .

٩ ـــ **من خصائص العربية** : بحث للدكتور تمام حسان ، ألقى فيه نظرة جديدة ـــ في ضوء علم اللغة الحديث ـــ على خصائص اللغة العربية ، فكان بحثـــه **تحديثا** (١٥) ـــ على حـــد تعبيره ـــ لفكر قديمة وانشاءً لأفكار لم يسبق أن تطرق اليها القدماء .

عدَّد الباحث خصائص العربية جامعا اياها في الثلاث التاليات :

اولا ـــ دَرَجِيَّة التنظيم : وعنى بها أن العربية لغة ذات نظام كلي يشتمل على أنظمة فرعية متدرجة ؛ فالصرف فيها مثلا يسبـــق النحو ؛ وشرح جوانب هـــذا التدرج .

---

(١٥) فعل حدَّث المضعف لم يرد في معجمات العربية الا بمعنى : التكليـــم ، اما معناه الشائع اليـــوم عند كثير من الكتاب وفي وسائل الاعلام فهـــو : جعل الشيء حديثا ، وسبق أن تصدت لجنـــة الألفاظ والاساليب للمعنى الشائع فلم تر فيـــه مخالفة لمقاييس العربية فقررت اجازته ، وعرض الامر علـــى المؤتمر في الـــدورة الخامسة والاربعين فقررت الاكثرية رفض قـــرار اللجنة .

ثانيا ــ الاقتصـــاد : وعُنى به ان العربية تحاول التعبير بالقليل المتناهي من الالفاظ عن الكثير غير المتناهي من المعاني ؛ وشرح كيف يتم ذلك في العربية عن طريق تَعدُّد الصيغ، ونقـــل الكلم مـــن باب الى باب، الى غير ذلك من الظواهر المختلفة .

ثالثا ــ مراوغـــة اللبس : وعنى بهـــا قدرة العربية على دفـــع اللبس الناشيء عن خاصية الاقتصاد بالقرائن وحسن العرض والبلاغة ، حتى اذا مـــا تولى العربية مـــن لا يحسنها كانـــت تراكيبه بها عرضـــة للبس .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكور للباحث حديثـــه القيّم المركّز .

١٠ ــ مجالات اللغة العلمية في أصول البيان العربي : بحث للدكتور عبد الرزاق محيي الدين، بيّن فيـــه اختلاف اسلوب الاداء بين العلم والادب تبعا لاختلافهما في الجوهـــر رغم وحدة اللغة فيهما ؛ واذا كان استعمال المصطلحات يميّز لغة الأداء في العلم عن لغـــة الاداء في الادب، فـــان علوم العربية من بلاغـــة وبيان وبديع تكاد تستأثر بهـــا لغة الاداء في الادب .

واخذ الباحث يستعرض **فروع البيان العربية ويعرضها على مختلف العلوم، ويبين كيـــف ترفضها لغة الأداء فيها** ؛ فلمـــا بلغ فرع المحسنات اللفظية قـــال بأن لغة العلم لا تمانع بقبولها اذا لم تكن متكلّفـــة ، فان كانت مُلفَـــةً الادب ترفضها اليوم ، كما ترفض لغةُ العلم كـــلَّ غموض واي كناية ولو عن كلمة يمجها الذوق العـــام .

وتلقّى الباحـــث شكر المؤتمرين علـــى بحثه الممتع ، واشترك في التعليق عليه كـــل من الرئيس ابرهيم مدكور والاساتذة مهدي علام ، وتمام حسان ، ومحمد عبد الغني ، وعز الدين عبد الله .

١١ ــ **لمحة عن الشعر المعاصر في الجزيرة العربية** : بحث للأستاذ حسن عبد الله قرشي ، عرض فيــه اسماء طائفة من شعــراء الجزيرة المعاصرين ، منتخبا نماذج غــير مختارة ــ على حــد تعبيره ــ من شعر كل واحد منهم ، ملقيا عليها **نظرات نقدية قيمة** .

واشترك في التعليق على هذا البحث الممتع كل من الاساتذة : محمد عبد الغني حسن ، ومهدي علام ، ومحمد محمود الصياد ، واحمد الحوفي.

١٢ ــ **جولة مع الكتاب العربي** : بحث للأستاذ محمد عبد الغني حسن،عرض فيه أصنافا من الكتب المطبوعة ومنهج فهرسة كــل منها ؛ كما عرض **مناهج تحقيق المخطوطات** ، وما قد يقع فيه المحققون من أوهام ، وما قد تجرّه عليهم السقطات التي تعثروا بها مــن توالي العثرات ؛ وفي بعض هذه العثرات طرافة،وكثير منها يعتبر من الأخطاء الفاضحة .

ثم بيَّن الباحث اسلوب المؤلفين في مقدمات كتبهم ، **وفوائد المقدمات اذا وجدت** ، وشعور القارىء اذا ما افتقد في كتاب مــا المقدمة ؛ كما بين انواع الاشتراك في التأليف ، وفوائــد الاشتراك وعيوبه ، **وطرق تعداد مصادر التاليف،والبيانات الواجب ذكرها عن المصادر** ، وفوائد بيانها وعيوب التبجح بها ، ومضار ذكر مصادر غــير حقيقية .

وختم الباحث كلامه مشيرا الــى كثرة انتاج بعض المؤلفين ، ومزايا سعة الانتاج وعيوبه ، واخطار اعتماد بعض المؤلفين على الذاكرة دون الرجوع الى النص المكتوب .

وشكر الرئيس ابرهيم مدكور للباحث حديثه الممتــع ، والدال على التتبع وسعــة الاطلاع .

١٣ ــ **لغــة العلــم** : بحث للدكتور سعيد رمضان هداره ، الخبير في المجمع ، عرض فيــه خصائص الاسلوب العلمــي ، مشيرا الى فضل العرب على العلــم والعلماء ، مؤكدا علــى ضرورة الانفتاح اللغــوي ليتم تطوّر لغــة العلم بتطور الحضارة ؛ ثم عدد السمات الاساسية للغة العلم،وتتلخص فــي :

اولا : الوضوح وما يستلزمه من دقة وتبيين ؛ وأشار الباحث الى المزايا التي تتمتع بها اللغة العربية وتساعد على الوضوح المطلوب .

ثانيا : الايجاز والسلاسة وما يتطلبان من سعة اطلاع ؛ واشار الباحث الى مزايا العربية التي تساعــد على ذلك .

ثالثا : وجود مصطلحات ، وبيّن الباحث طُرق وضع المصطلحات،وضرورة الاتفاق على منهج موحد للحصول على مصطلحات موحدة ؛ كما ذكر ما للعربية من مزايا تساعد في وضع المصطلحات .

وشكر الرئيس الدكتور ابرهيم مذكور للباحث حديثه المفيد .

١٤ ــ **حديث القوافي** : بحث للدكتور عبد الله الطيب عن الموسيقى في الشعر، واثر مختلف الانغام في النفس البشرية ؛ تحدث فيــه عن تجاوب الفاظ اللغة العربية **بمخارجها الصوتية الدقيقة** مع الموسيقى المؤثرة .

وتناول البحــث عبقرية الخليل بن أحمد الفراهيدي،صانع العروض، **في كشفه للانغام ووصفه لبحــور الشعر** ؛ ودافع الباحث عن هذا العبقري العملاق تجاه من يحاول أن يتطاول عليه **ممن يظنون أن الشعر يمكن أن يكون بــلا موسيقى** .

وكان الحديث ممتعا لعشاق الشعر العمودي ، واثار تعليقات قيّمة، اشترك فيها اغلب الشعــراء في المؤتمر، وفيهــم الاساتذة : ابرهيــم

الدمرداش ، وعبد الرزاق محيي الدين ، ومحمد عبد الغني حسن ، والدكتور شوقـــي ضيـــف .

١٥ ــ **بعض فنون التأليف المعجمي** : بحث للدكتور مجدى وهبه ، بداه بذكر سبب اشتغاله بالتأليف المعجمي ، وهو من المهتمين بنقـــل المعاني من لغة الـــى اخرى ، وكيف تمت له بعد ذلك **خبرات في صناعة المعاجم** ، فاحب ان يعرضها على زملائه في المجمـــع . وصناعـــة المعاجم من اهم الامور التي تدخل في اختصاصاتهم بحكـــم القانون .

وبعد أن عرض الباحـــث ما صنعه المجمـــع من معجمات،وما ينوي صنعه خدمة للمعجـــم العربي المنشود ، اخذ يسرد تاريخ اشهر معاجم اللغتين الانكليزية والفرنسية الوحيدة اللغـــة ، موجزا الكلام على اهـــم التجارب التي مـــرّ بها واضعو تلك المعاجم،والمناهج التي اقاموا عليها عملهم ، مشيرا الـــى القيود التي الزموا انفسهم بها .

وانتهى الباحث الى التأكيد على ان **العمل المعجمي الناجح ما هو الا ثمرة عبقرية اللغة التي يحتويها المعجم**،والجهود الذي يبذلها صانعه .

وشكر الرئيس الدكتور ابرهيم مدكور للباحث حديثه القيم وجهوده في خدمـــة المعجم العربـــي .

رابعـــا : المحاضرات العامة

تضمن جدول اعمال المؤتمر في دورته هذه ، محاضرتين عامتين ، دعي الى حضورهما جمهرة من علماء العربية ورجال الفكـــر ومدرسي اللغة العربية ، وفتح امامهم باب الحوار والنقاش العلني ، وكان الموضوع في هاتين المحاضرتين هـــو :

المحاضرة الاولى ــ تيسير تعليم النحــو

ها الدكتور شوقـــي ضيف ، عرض فيها لمشاكل النحو العربي منذ فقد العرب السليقة بعد أن اختلطوا بالاعاجم . وتكلم عن **امج التعليم الحكومي،وعــن كثرة المواد على طــلاب العلم ؛** تعقيدات في كتب النحو واسبابها ، مشيرا الى الجهود والمحاولات خلال نصف قرن مضى من اجل تيسير تعليــم النحو . ثم انتقى ي يرى في الأخذ بها تيسيرا حقيقيا في تعليم النحو ، وعدّدها في ل معاناته لمشاكــل النحو والتعليم .

وعندما فُتِح بــاب الحوار ، جرت مناقشات مطولــة ، ايد خلالها المتكلمون بعض مــا جاء في المحاضرة ، وعارضوا بعضا آخر ، وأبدى بعضهم آراء جديدة . ولم يَخْلُ النقاش من تعريض البعض بالنحو وفوائده ، ومن هــزء بنحو سيبويه وصنيعه .

ورد المحاضر علــى المتكلمين واحدا واحدا ، وختم كلامــه قائلا : « . . **لقد دَوَّن اجدادنا التراث العظيم الذي تركوه لنا على هدى قواعد سيبويه** ، واننا لــن نستغني عن النحو مــا دامت الفصحى ؛ **والفصحى ستظل ، باذن اللــه ، خالدة ، وسيظل النحو العربي خالدا** ، كما ستبقى المحاولات لتيسيره على الناشئة جادة متواصلة » .

المحاضرة الثانية ــ لغــة الصحافة

القاها الأستاذ محمد زكي عبد القادر ، احد شيوخ الصحافة في مصر ، تحدث فيها عــن تاريخ الصحافة المصرية ، وأفاض في الكلام عن لغــة الصحافة في عهدها الذهبي ايــام روادها الأعلام ؛ ثم تكلــم عن العهود التي اخذت فيها لغــة الصحافة بالتدنّي ، وهــي **تُعنَى بالخبر الجديد وبالقصص المثيرة اكثر من عنايتها باللفظ الفصيح والاسلوب الرفيــع .**

وعند فُتح باب الحوار اشترك عدد من الحضور في المناقشات وساهموا في تعداد أسباب تدني لغة الصحافة ، واختفاء تعنى بالأساليب المتينة والأدب الرصين . وكـادت الآراء تجـ **أن للنظام السياسي أثرا كبيرا على لغـة الصحافة** ، وعلى أن الديم السياسية **من أهم البواعث على ارتقاء هـذه اللغة** .

خامسا : المعجم الكبير

عُرض علـى المؤتمرين ما انهى مجلس المجمع دراسته والموافقة عليه من مواد المعجم الكبير ؛ وهـي المواد المبتدئة من اول الجيم والزاي المضعّفة الى نهاية **حرف الجيم واللام مـع التاء** .

واستمع المؤتمرون الى الملاحظات التي قدّمها الدكتور عدنان الخطيب، ثم الملاحظات التي قدّمها الأستاذ حمد الجاسر ، والتي اثارت نقاشا حادا حول **منهجية المعجم الكبير** في نقل المواد الثابت تصحيفها في المعاجم القديمة ، او في نقل التعريفات الخرافية،او التي لا يقرها العلم .

ولم يُنتَه النقاش الى موقف حاسم صحيح ، لسبق اقرار منهج للمعجم الكبير ، وإن كان هذا المنهج غير مفصل ولا دقيق . وقد احيل الامر على لجنة المعجم للنظـر فيه .

سادسا : اعمال لجنـة الاصول

نظر المؤتمرون في الموضوعات التي اقرتها لجنة الاصول ووافـق عليها مجلس المجمع . وفيما يلـي موجز عن تلـك الموضوعات وما انتهى اليه المؤتمـر بشأنها :

الموضوع الأول ــ حذف تاء التانيث من المؤنث المجازي المصغّر

كانت لجنة الأصول ، بناء على طلب لجنة الطب ، انتهت بعد الدراسة الى القرار التالـــي :

« يؤثر العلميون في بعض المصطلحات العلمية عـــدم الحاق التاء بالمؤنث المجازي المصغر عنـــد الحاجة ؛ ومن ذلـــك استعمالهم ، اذين تصغـــيرا لاذن .

وترى اللجنة ان جمهرة اللغويين نصوا على جواز مثل ذلك اذا ادى ظهور التاء الى الالتباس ؛ وتسجـــل معجمات اللغة جملة من المؤنثات المجازية المصغرة تزيد على العشرة غير ملحق بها التاء (١٦) » .

ثم اتخذ مجلس المجمع قرارا بالاكثرية عدل فيه قرار اللجنة كما يلي :

« يجوز **حذف تاء التانيث من المؤنث المجازي ، في المصطلح العلمي ، اذا ادى ظهور التاء الى الالتباس** » .

وجرت مناقشات حادة بين طائفتين من الاعضاء ، تُدافِعُ الاولى عن قاعدة نحوية ، ولا ترى ضرورة لتحويل استثناء فيها الى قاعـــدة جديدة ، وترى الطائفة الاخرى ان التحويل المقصود هو مجرد رخصة مقصورة على المصطلـــح العلمـــي .

وعند عرض الموضوع علـــى التصويت تقرر **قبول قـــرار المجلس بالاكثريـــــة** .

---

(١٦) من هذه الامثلة : قوس ، وحرب ، وشجر ، تصغر على : قويس ، وحريب ، وشجير ، ولا يقال شجيرة ، كما تقتضي القاعدة ، خوف الالتباس مع تصغير شجرة .

الموضوع الثاني ــ النسبة الى المثنى في المصطلحات العلمية

اتخذت لجنـــة الأصول ، بطلب من لجنة الطـــب ، القرار التالي :

« ينسب بعض العلميين في المصطلحات العلمية الى المثنى على لفظه دون رده الى مفرده ، كما تقضي بذلك القواعد السائدة ، ايضاحا للدلالة ، كما في اذيناني . وترى اللجنة اجازة ذلك تنظيرا بين المثنى والجمع .. (١٧) »

وعندما عرض قـــرار اللجنة على مجلس المجمـــع قرر الموافقة على الصيغـــة التاليـــــة :

« يجوز في المصطلحات العلمية ونحوهـــا ان **ينسب الى المثنى على لفظه دون ردِّه الـــى مفرده** ، كما تقضي بذلك القواعد السائدة ، **ايضاحا للدلالة** كما في اذيناني ؛ **وترى اللجنة اجازة ذلك تنظيرا بين المثنى والجمع** ، اذ ان المجمع اقر من قبل ان ينسب الى الجمـــع بلفظه عند الحاجة كارادة التمييز (١٨) ، على ان يلزم المثنى الالف في هـــذا التركيب ، لان الاعراب عندئذ يكون علـــى الياء ؛ ذلك ان المثنى العادي فيه لغة باعرابه بالالف في جميـــع الأحوال (١٩) » .

وجرت بعض المناقشات تذييلا للمناقشات التي تمت حول الموضوع الأول ، وعند التصويت **تمت اجازة القرار بالاكثرية** .

---

(١٧) نسب العرب الى الجمع فقالـــوا : انصاري ، ومعافري ، وكلابي ، نسبة الى قبيلة كلاب ، دون رد الكلمة الى المفرد خوفا من الالتباس مع النسبة الى قبيلة كلب .

(١٨) كان المجمع في الجلسة السابعة عشرة من دورته الثانية اتخذ القرار التالـــي : « المذهب البصري في النسب الـــى جمع التكسير أن يُـرَدّ الى واحده ، ثم ينسب الى هذا الواحد . ويرى المجمـــع أن ينسب الـــى لفظ الجمع عند الحاجة ، كارادة التمييز او نحـــو ذلك » انظر أسانيد هـــذا القرار ، وبحث الشيخ محمد الخضر حسين في الاحتجاج لـــه في الجزء الثاني مـــن مجلة مجمع مصر .

(١٩) لم يرد عن العرب كلمات منسوبة الـــى المثنى سوى بحراني نسبة الـــى البحرين ، وكأنهم لجأوا اليه استثقالا لكلمـــة بحريني . انظـــر بحث الدكتـــور شوقي ضيف المقدم الـــى المؤتمر في هـــذه الدورة .

الموضوع الثالث ــ (لا) في محدث الاستعمال

عُرِض على المؤتمر قرار لجنة الاصول التالـــي :

« يجري في الاستعمال المعاصر مثل قولهم : اللامعقول مذهـــب من مذاهب الأدب ، كان عملا لا اخلاقيا ؛ تَصَرُّف لا شعوريا (٢٠) .

ويجوز في هذه الأمثلة السابقة وما يشبهها احد وجهين :

أ ــ اعتبار (لا) النافية غير عاملة على ان **يعرب ما بعدها بحسب موقعه** ممـــا قبلهـــا .

ب ــ اعتبار (لا) مركبة مع ما بعدها ؛ **ويعرب المركب بحسب موقعه في الجملـــة** » .

وبعد مناقشة سريعة **أقـــر المؤتمرون هذه الاجازة بالاجماع .**

الموضوع الرابع ــ الجمع بين لم ولن أو لا ولن

عرض علـــى المؤتمر قرار اللجنة التالـــي :

« يـــرد في التعبير العصري مثل قولهم : ان صورتها لم ولن تغيب عني ؛ ومثل قولهـــم : ان موقفك لا ولن يغير رأيي ، ويرد علـــى هذين التعبيرين ، الجمع بين لم ولن ، أو بين لا ولن ، ولم يرد ذلك في المأثور ، وترى اللجنة تسويغ الصيغتين على انهما من باب تنازع العاملين معمولا

---

(٢٠) للمؤتمر ثلاث قرارات سابقة في موضوع (لا) النافية وهـــي :

الأول : اتخذ في الدورة الثانية ونصـــه : « يجوز دخول (أل) على حرف النفي المتصل بالاسم ، واستعماله في لغة العلم ، مثل : اللاهوائي » .

الثاني : اتخذ في الدورة الثامنة ونصـــه : « في ترجمة الصدر a - or - on الذي يدل على معنى النفي ، تقرر وضع كلمة (لا) النافية مركبة مع الكلمة المطلوبة ، فيقال مثلا : اللاجفن واللامقلة » .

الثالث : اتخذ في الدورة الحادية عشرة ونصه : « يجوز استعمال (لا) مركبة مع الاسم المنفرد اذا وافق هذا الاستعمال الذوق ولم ينفر منه السمع » .

واحدا ، أخذًا براي البصريين الذي يجعل العمل في المعمول للعامل الثاني ، مع السعة في تطبيق تلك القاعدة علـــى الحروف » .

وجرت مناقشات ، واختلف راي الاعضاء **حول ادخال التعليل في باب التنازع او في باب المحذوف** (٢١) ، وعرض الأمر علـــى التصويت **فأجازت الاكثرية قـــرار اللجنة كمـــا عرض .**

وانهى المؤتمر النظر في اعمال لجنة الاصول بشكر الرئيس ابرهيم مدكور اللجنة على جهودها في الدراسة والبحث .

سابعا : اعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمر في اعمال لجنة الالفاظ والاساليب المحالة عليه من قبل مجلس المجمع ، وفيما يلـــي نص القرارات الصادرة عن اللجنة ، وموجز لما اتخذه المؤتمـــر بشأنها :

القسم الأول : الألفاظ

١ ــ الموسوعـــــة

تلي قـــرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال كلمة الموسوعة ، مرادا بها **الكتاب الذي يحوي معارف موسوعة في موضوع واحد** ، أو في موضوعات متعددة ، كما تطلق على ما يسمى الان دائرة المعارف ، فيقال : الموسوعة الميسرة ، وقسم موسوعي للأعلام التاريخية والفقهية ، وموسوعة الفقه الاسـلامـــــي .

---

(٢١) اي حذف معمول العامل الاول فيكون اصل المثل الاول : ان صورتها لم تغب عني ولـــن تغيب عنـــي .

وقد يتردد الناقد اللغوي في قبول هذه الكلمة لانها ليست في مأثور اللغة ، أو لان الموسوعة مفعولة اطلقت على الوعاء او المحل ، وهو الكتاب ، في حين ان الموسوع هو المحتوى او المادة التي يشتمل عليها الكتاب ، لانه يسعها او يتسع لها .

ولما كان في المعجمات قول العرب : وسع الله عليه رزقه يوسعه وسعا : **بسطه فالرزق مبسوط ويمكن القياس عليه** فيقال : وسع المؤلف الكتاب ، **فالكتاب موسوع** . وقولهم هذا الوعاء يسع عشرين كيلا ، وهذا الوعاء يسعه عشرون كيلا فالوعاء في المثال الثاني موسوع بدلالة المفعولية . واللجنة **تجيز استعمال الموسوعة بمعناها العصري** في دلالتها على المحلية الواسعة او الموسوعة او المتسعة » .

وعقب تداول الراي ، أعلن الرئيس **موافقة المؤتمرين بالاجماع على** القرار .

ب ــ منضدة

تلي قرار اللجنة الآتي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال منضدة ومناضد ، مرادا بها **نوع من أثاث البيت توضع فوقه الأواني** او الأدوات بنظام معين .

ويؤخذ على هذا الاستعمال انه لم يرد مفردا او جمعا في المعجمات ، وقد ورد الجمع في قول مزرد بن ضرار الغطفاني :

وعهدي بكم تستنفعون مشافرا من المحض بالأضياف فوق المناضد

وربما قصد بالمناضد هنا الأسرّة التي يجلسون عليها .

واما المعجمات فقد ذكرت الفعل من هذه المادة وهـو : نضد المتاع ينضده نضداً ونَضَّده تنضيدا : **جعل بعضه على بعض** ، والنضد بالتحريك : ما نضد من متاع البيت ، وكذلك السرير ينضد عليـه المتاع او الثياب ، والجمع انضاد . من هذا العرض ترى اللجنة ما يلـي :

اولا : **اجازة استعمال مُنْضَدة على مُفْعلة** ، بفتح الميم والعين مـن وجهين : احدهما انهـا اسم مكان من الفعل نضد ينضد ، بكسر المضارع ، وان كان القياس (منضد) على مفعل بكسر العين ، تعديلا علـى أن في المسموع من اسماء المكان ما جاء على وزن مفعل ، بفتح العين ، مع أن فعله من بـاب ضرب .

والثاني : انها صيغة على وزن مفعلة للمكان يكثر فيه النضد ، وهو اثاث البيت ومتاعه ؛ وقد سبق ان اقر المجمع هذه الصيغة للمكان يكثر فيه الشـيء قياسا .

ثالثا : اجازة منضدة على مفعلة اسما للآلة ، من قبل أن الأواني والأدوات والمتاع توضع فوقها ، فتصير بذلـك معدة للأكل عليها او للعب او للجلوس، فكأنها ممـا يعالج به الشيء وينقل » .

واعلن الرئيس **موافقة المؤتمرين على القرار بالاجماع .**

ج ـ القيمـة والقيـم

تلي قـرارا اللجنة التاليـان :

١ ـ القيمـة

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال القيمـة والقيم للدلالة على **الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليهـا حياة المجتمع الانسانـي .**

ويؤخذ على هذا الاستعمال انه لم يرد في المعجمات بهذا المعنى ، وانما الذي ورد فيها للفظ القيمة معنيان ، اولهما : ان قيمة الشيء ثمنه ، والثاني : **الثبات والاستقرار** . قال الفيروز ابادى ما له قيمة : اذا لم يدم على الشيء . ولما كان وزن المرء مرتبطا بما فيه من فضيلة ، ووزن الأمة بما فيها من فضائل ، صارت لها سجايا ثابتة لا تتغير ؛ وكذلك الفنون لما كانت تقوم بما فيها من سمات تتفق مع حياة الجماعة الانسانية ، فان العلاقة قائمة بين المعنيين القديم والحديث ، وقد استعمل الجاحظ القيمة بهذا المعنى في موضعين من رسالته : كتمان السر وحفظ اللسان « تدبرت اعراقك ، وتأملت شيمك ، ووزنتك فعرفت مقدارك ، وقومتك فعلمت قيمتك ، فوجدتك قد ناهزت الكمال » .

« اغتياب الناس جميعا خطة جور في الحكم ، وسقوط في الهمة ، وسخافة في الرأي ودناءة في القيمة » .

ومن هنا ترى اللجنة أن استعمال القيمة والقيم للدلالة على هذا المعنى المحدث **جائز من قبيل المجاز المرسل** » .

٢ — **القَيِّم**

« تشيع كلمة القَيِّم بمعنى **الجيد ، او ما له قيمة ممتازة** . والمأثور في اللغة ان القيم هو المستقيم ، ومنه الدين القيم او دين القيمة ، اي الملة المستقيمة الفارقة بين الحق والباطل . وترى اللجنة **اجازة الاستعمال** العصري لكلمة (القيم) تعويلا على ما جاء في مستدرك التاج من قوله قَيِّم : حسن ، والعلاقة واضحة بين الاستعمال والمأثور باعتبار أن الجودة او الحسن او الامتياز ثمرة الاستقامة » .

وبعد مناقشة وجيزة اعلن الرئيس **اجماع المؤتمرين على قبول قراري اللجنة** .

د ــ صفراوي وصفرائي

تلي قرار اللجنة التالـــي :

« يرى بعض العلميين اذا نسبت الى الصفراء اسما ــ وهي احدى مواد الجسم الاربعة : الدم والبلغم والصفراء والسوداء ، ضرورة النسبة الى الصفراء علـــى لفظها ، وهـــي الاسم تمييزاً بين المنسوب الى الصفة وهي الصفراء ، لمـــا يترتب على ذلك من فروق علمية .

وقد يؤخذ على ذلـــك ان القاعدة عند جمهـــرة النحو والتصريـــف اذا نسبوا الـــى المختوم بألف التأنيث الممدودة ، **فانه يجـــب قلب الهمزة واوا** ، فيقولون في حمراء وصفراء وزرقاء : حمراوي وصفراوي وزرقاوي . وقد نقل أبو حاتم السجستاني أن من العرب من يقول : حمرائي وصفرائي ، فيقر الهمزة من غـــير قلب تشبيها بألـــف كساء . لذلك ترى اللجنة انـــه **يجوز عند الحاجة، كالتمييز بين الاسم والصفة، أن ينسب الى هـــذا الضرب المختوم بألف التأنيث الممدودة ببقاء الهمزة كما هي ، دون ان تقلب واوا .** ويضاف الى ذلك ان المجمع سبق له ان أجاز مثل هذا التوجيه في النسبة الى كيمياء ، اذ يقال كيميائـــي (٢٢) » .

وبعد مناقشة هادئة **وافق المؤتمرون على اجازة هـــذا القرار .**

هـ ــ تَوَفَّى والمتوفِّي

تُلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلـــي :

« يشيع في الاستعمال المعاصر قول المتحدثين **تَوَفَّى فلان ، بالبناء للمعلوم** ، فهو متوفٍّ . ويأخذ بعض النقاد على هذا الاستعمال **أن المسموع**

---

(٢٢) يقال في النسبة الى كلمـــة كيمياء : كيميائي ، وكيمياوي ، وكيماوي . انظر بحث الأب ماري انستاس الكرملي في الدورة السادسة ، وقـــرار المؤتمر فيها : وانظر ابحاث المجلس في الدورة الخامسة عشرة وقراره في الدورة الخامسة والعشرين . ومن الغرائب ان المعجم الوسيط أثبت صيغتي النسبة الاولى والثانية وأغفل الثالثة .

في اللغة تُوُفِّيَ ، ببناء الفعل للمجهول ، فهو متوفًى ، بصيغة اسم المفعول . والتعبير الشائع سائغ في قراءة أبي عبد الرحمن السلمى (٢٣) مرفوعة الى علي بن أبي طالب في قوله تعالى (والذين يُتَوَفَّوْنَ منكم) (٢٤) وقد وجه هذه القراءة لغويا ابن جني (٢٥) والسخاوي الذي زاد أن تَوَفَّى بمعنى استوفى اجله ؛ ومجيء تَفَعَّل المضعف المزيد التاء بمعنى استفعل نص عليه الرضي ؛ وما قاله السخاوي (٢٦) في (الاعلان) فلان المستوفى ، وانت في فتح الفاء وكسرها بالخيار . وترى اللجنة أن كلا من التعبيرين صحيح لا غبار عليه ».

وجرت مناقشات حادة بين مؤيدي القرار ومعارضيه ، واشترك في معارضته كل من الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وعبد الرزاق محيي الدين ، ومهدي علام . واضاف الدكتور عبد الله الطيب **أن القراءة المستند اليها شاذة** (٢٧) **ورفض قبول أن عليا كرم الله وجهه قرأ بها** (٢٨) ؛ وبعد عرض الامر على التصويت قررت الاكثرية **رفض قرار اللجنة .**

---

(٢٣) هو محمد بن الحسين الأزدي النيسابوري ، من علماء المتصوفة ، ومن كبار المؤلفين ، توفي سنة ٤١٢ ، ترجم له الزركلي في الاعلام ج ٦/٣٣٠ .

(٢٤) الآية (٢٣٤) من سورة البقرة (م) .

(٢٥) ابو الفتح عثمان في كتابه « المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها » طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بتحقيق الاساتذة علي النجدي ناصف ، وعبد الحكيم النجار ، وعبد الفتاح اسماعيل شلبي . القاهرة ١٩٦٦ — ١٩٦٩

(٢٦) هو المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٠٢ ، وذلك في كتابه « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » .

(٢٧) جاء في الصفحة (١٢٥) من الجزء الاول من كتاب المحتسب : « وعن ذلك ما رواه ابو عبد الرحمن السلمي عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) : « والذين يتوفون منكم » بفتح الياء .

قال ابن مجاهد : ولا يقرأ بها .

قال ابو الفتح : هذا الذي انكره ابن مجاهد عندي مستقيم جائز ، وذلك انه على حذف المفعول » .

(٢٨) لم أجد في ما بين يدي من كتب القراءات اي اشارة الى الطريق الذي رفع فيه السلمي روايته الى علي بن ابي طالب . اما محققو كتاب المحتسب فقد ترجموا لجميع الاعلام الواردة اسماؤهم فيه ، ولكن فاتني العثور على ترجمة

و ـ جَمَّد وتَجَمَّد

تُلي قرار اللجنة التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : تجميد الارصدة ، تجميد اموال الشركة ، تجميد التركة ، بمعنى منع حق **التصرف فيها جميعا** . ومثل قولهم تجمُّد السائل والماء ، **بمعنى صلابتهما بعد ان كانا سائلين** . ويؤخذ على هذين التعبيرين أن الفعلين جَمَّد وتَجَمَّد غير موجودين بالمعاجم .

وطوعا لقرار المجمع في « **جواز اكمال الاشتقاقات في مادة لم ترد في المعاجم ، وجواز تضعيف الفعل للتعدية ، وقياسية المطاوعة** »والمعروف من أن تعدية الثلاثي تفيد التصيير الى الشيء ، مثل قَوَّاه جعله قويا . وعليه يقال : جَمَّد الشيء وجعله جامدا والمصدر التجميد .

وترى اللجنة أن قول المعاصرين تجميد المفاوضات ، بمعنى وقف اجرائها ، وتجميد الأنشطة ونحوها ، **جائز من طريق المجاز** ، أما قولهم تَجَمَّد السائل والمائع **فجائز من باب المطاوعة** يقال : جَمَّد السائل فتَجَمَّد تَجَمُّدا » .

وعرض هذا القرار على التصويت **فقبل بالاجماع** .

ز ـ تربوي وتنموي

تُلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلي :

« يشيع في لغة علماء التربية والاقتصاد مثل قولهم في النسبة الى تربية وتنمية « **تربوي وتنموي** » . وقد يؤخذ على هاتين النسبتين وما

للسلمي بينهم ، غير اني وجدت الزركلي ينقل في الاعلام قول الذهبي عنه : « شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم . قيل : كان يضع الاحاديث للصوفية » كما نقل عن كتاب التبيان لبديعة البيان لابن ناصر الدين قوله : « هو حافظ زاهد لكن ليس بعمدة » والكتاب مخطوط في مكتبة أحمد عبيد ، وعليه استدراك بقلم ابن حجر العسقلاني . انظر الاعلام ج ١٠ ص ٢٨٦ .

شاكلهما انهما تخالفان المشهور من فصيح العربية ، فالمقرر في النسب الى المنقوص الذي رابعه ياء أحد وجهين :

الأول : **أن تحذف الياء** فيقال : قاض .

والثاني : **الا تحذف الياء بل يفتح ما قبلها وتقلب هي واوا** ثم تضاف ياء النسب فيقال : قاضوي . ولما كان اعمال هذه القاعدة على تربوي ، وتنموي يجعلها مشاكلة لما اقره سيبويه في نحو : عرقوه ، وقرنوه ، وقد ضم ما قبل الواو في المنسوب ، وفتح عند النسبة : ترى اللجنة ان النسبة الى مثل تربية ، تنمية وتزكية : تربوي ، تنموي ، تزكوي **صحيحة الاستعمال** » .

وبعد مناقشة سريعة **قبل القرار بالاجماع** .

ح ــ تحديد معنى النَسَب وعلاقته بالمصاهرة

تلي قرار اللجنة الآتي :

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال كلمة النَسَب مرادا به المصاهرة ؛ فيقال بين فلان وفلان نَسَب ، وفلان نسيب فلان ، **اي صهره** ؛ ويؤخذ على هذا الاستعمال أن اللفظتين مختلفتان في الدلالة ، فالنَسَب عند جمهور أهل اللغة هو القرابة ، اي قرابة الدم والقربى في الرحم ، **والمصاهرة هي القرابة الزوجية** ، والصهر اهل بيت المرأة وقرابات النساء .

ولكن ورد في المصباح والمعيار ما يفيد اطلاق النَسَب على مطلق القرابة . يقول الفيومي : استعمل النسب وهو المصدر في مطلق الوصلة بالقرابة ، فيقال : بينهما نَسَب اي قرابة ، ومن هنا استعيرت النسبة في المقادير لانها وصلة على وجه مخصوص . ويقول الشيرازي : يستعمل النسب في مطلق الوصلة والقرابة ، فيقال : بينهما نسب ، اي قرابة ، سواء جاز بينهما تناسب أم لا . ومن هنا استعيرت النسبة في المقادير .

وبناء على ما جاء في المصباح والمعيار من اطلاق النسب على القرابة عامة ، ترى اللجنـــة : أن الاستعمال المعاصر للفظة النسب في معنـــى المصاهرة ، والنسيب في معنى الصهر **جائز من باب التوسع والتعميم** » .

وجرت حول هذا القرار مناقشات حادة اشترك فيها عدد من الزملاء ، وقال الدكتور عمـــر فروخ : « اذا كان اللـــه جل وعلا **فرق في المعنى بين اللفظين** فقال : (وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا)(٢٩) فما بالنا نجري وراء العامة في الخلط بينهما ! ! » .

وانتهت المناقشات **برفض الأكثرية للقرار** .

ط ــ خصوم الِدّاء واعداء الِدّاء

تلي قرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : خصوم الِدّاء واعداء الِدّاء ، يعنون انهم **قد اشتدت بينهم العداوة والبغضاء** . ويؤخذ على هذا التعبير امـــران :

احدهما : ان اللدد لم يرد في مأثور اللغة الا في معنى اشتداد الخصومة والجدل ، لا اشتداد العداوة . وهناك فرق بين الخصومة والعداوة وبين الخصـــم والعـــدو .

والثاني : ان كلمة الالداء جمعا لم ترد في معجم لغوي ، وكذلك لم يرد في مادة اللدد مفرد يجيء جمعه على افعلاء ، والجموع المسموعة المنصوص عليهـــا هي : لُدّ ، ولِداد ، والِدّة ، والمسموع في مفردها : الد ، ولدود

وترى اللجنـــة **اجازة هذا التعبير** باعتبارين :

---

(٢٩) الآية (٥٤) من سورة الفرقان (٢٥) .

الاول : ان استعمال اللـــدد مسنداً الى العداوة ، مع انه في اصل استعماله يسند الى الخصومة ، انما هو من قبيل الاتساع ، مراعاة لمعنى الشدة في دلالـــة اللدد ، ومراعاة لان العداوة مبعثهـــا الخصومة ، وان الخصومة من دواعي العداوة .

ثانيا : جـــاء الفعل « لد » لازما ومتعديا بمعنى واحد ، هو اشتداد الخصومة والجدل . وجاء الوصف من اللازم : الد ، وجمع على لد ولداد ، وجاء الوصف من المتعدي : لدود وجمع على الدة .

واذا كان لُدَّهُ بمعنى خاصمه مسموعا ، فانه يمكن لنا أن نصوغ من الفعل المتعدي بناء للمبالغة علـــى وزن فعيل ، فنقول : لديد ، وعندئذ يكون من اليسير ان يجيء الجمع الداء قياسا سائغا » .

وجرت مناقشات بين معارضين لهـــذا القرار أو للتخريج الذي جاء به ومن يدافع عنه ، ولمـــا عرض على التصويت **قررت الاكثرية رفضه** .

ي ــ المُعَمَّـــر

تلي قرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : سلعٌ معمَّرة وشجر معمَّر. والمسموع في اللغـــة أن ذلك على صيغة اسم المفعـــول ، ولكن تخريج الاستعمال العصري يستند الـــى ان اللغة اثبتت فعل عُمَّرَ مجردا لازما ، وتضعيف فعل للتكثير والمبالغة قياس مجمعي . على أن في مستدرك التاج ما يدل على ان ذلك مسموع ، وربما كان هذا **علة اثباته في معجم اقـــرب المـــوارد** » .

وجرت مناقشات حول هذا القرار واستنكره عدد مـــن الاعضاء فلما عرض على التصويت **قررت الاكثرية رفضه** .

القسم الثانـــي ــ الأساليب

ا ــ تَرَسَّم فلان خُطا فلان

تلي قرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة قول الكتاب : ترسم فلان خطا فلان » ، بمعنى تتبعها ، واقتفاها ، وسار عليها . ويرد على هـــذا الاستعمال أنه ليس واردا بهـــذا المعنى في المعجمات ، وانما الموجود فيها ترسم الرسم : نظرا اليه ، وترسمت المنزل : تأملـــت رسمه وتفرسته . وفيها ايضا : رسمت له كذا فارتسمه اذا امتثله ، وانا ارتسم مراسمك : لا اتخطاها .

ولما كان الترسم والتأمل كثيرا ما يؤدي الى المتابعة والمحاكاة ، فان اللجنـــة **تقر استعمال هذا التعبير محل النظر على اساس المجاز المرسل** باطلاق السبب على المسبب » .

وجرت مناقشات حول المفهوم الدقيق لهذا التعبير ، وان جملة : ترسم خطاه تعني نهج نهجه ، **وعرض الأمر على التصويت فاقر بالاجماع .**

ب ــ فَحَصَ الشيءَ

تلي قـــرار اللجنة التالـــي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم (فحص الخبير الانتاج العلمي) مرادا بـــه بيان قيمة العمل العلمي . وقد يؤخذ على هـــذا الاستعمال ان الفعل فحص تعدى بنفسه ، مع انه في المعاجم متعد بحرف الجر « عن » . فعن اللسان : فحص عنـــه كمنع : بحـــث . وتقول فحصت عن فلان ، وفحصت عن امره لأعلم كنـــه حاله .

وترى اللجنة **ان قول العرب : فحص المطر التراب ، كاف لاجـازة التعبير محل النظر على سبيل المجـاز** ، لان فاحص الانتاج العلمـي يقلّبه ليردد النظر فيه كما يقلب المطر التراب » .

واستنكر بعض الاعضاء هذا القرار ، ولما عرض على التصويت **تقرر بالاكثريـة قبوله** .

ج ـ شَجْبُ العدوان

تلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلـي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهـم : نحن نشجب العدوان ، ويقصدون بـه **أنهم يستنكرون الحرب أشد الاستنكار** . ويؤخذ على هذا التعبير أن الشجب في اللغة هو الاهلاك . وترى اللجنة ان المراد بالشجب في الاستعمال المعاصر هو **الرفض للشيء ، والاستبعاد له** ، والرغبة في محوه لاستنكاره ؛ والمجاز **يتسع لحمل الشجب علـى الاهلاك** ، لانه يلزم من الاستنكار الشديد والرغبة في زواله . وعلى ذلك تجيز اللجنة استعمال الشجب في دلالته المعاصرة » .

وجرت مناقشة حادة حول مفهوم الشجب ، واستنكره البعض ، ولما عرض الامر على التصويت **أجيز القـرار بالاكثرية** .

د ـ الاستشعار مـن بعيد

تُلي قرار اللجنة المعدل من قبل المجلس كما يلـي :

« يشيع في لغة العلميين مثل قولهم : الاستشعار من بعيد ؛ وهو مصطلح يعنون به **علم ما على ظهر الارض وما في بطنها من شيء بوسائل شتى** ، منها ما يتـم عن طريق الذبذبات التي تصدر عن الطائرات ونحوها ،

فتصور ما على الارض من زروع ، ومبان ، ومعدات ، او تصور ما في جوفها من نفط وماء ومعادن . هذا المصطلح لحداثة استعماله وحداثة عهـده بالحياة قد يؤخذ عليه انه غير صحيح لغويا في اللغة :

شـعرت بالشيء شـعرا : علمت به ، واشـعرته الامر واشـعرته به اعلمته اياه ـ واستُشْعِرْ خَشية الله ، اي اجعلها شعار قلبك .

وترى اللجنة بذلك ان مادة الشعور تحمل معنى العلم ، وان صيغة استشعر واردة . ولذلك **تجيز استعمال الاستشعار في دلالته المعاصرة** » .

وبعد مناقشـة سريعة عرض الامر على التصويت **فقبل بالاكثرية** .

هـ ـ حتى انـت يا صديقي !

تلـي قرار اللجنة التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : حتى انت يا رفيق الجهاد ، حتى انت يا صديقي !

ويؤخذ على هذا التعبير **ان حتى لم يؤثر دخولها على ضمير رفع منفصل او اسم مرفوع في المشهور من قواعد العربية** . ولم يرد قبلها كلام فتكون غايـة لـه .

وترى اللجنة اجازة التعبير استنادا لما قال به ابن هشام في تعليقه على بيـت الفـرزدق :

فواعجبا حتى كليب تسبني كأن اباها نهشل أو مجاشع

فقدر جملة ليكون ما بعدها حتى غاية لها : فواعجبا يسبني الناس حتى كليـب تسبني » .

وبعد مناقشـة استشهد خلالها بتعبيرات مأثورة مشابهة ، **قررت الاكثرية اجازة هـذا التعبير** .

ثامنـــا ــ جلسة الختام

عقد المؤتمرون صباح يوم الاثنين في الثالث من جمادى الأولى سنة ١٤٠١ هـ ، وفق التاسع مـــن آذار (مارس) سنة ١٩٨١ م ، جلستهم الختامية ، وفيها عرض الدكتور مهدي علام،أمين المجمع،ما انجزه المؤتمر خلال هـــذه الدورة ؛ ثم تليـــت اقتراحات الاعضاء وملاحظاتهم ؛ وكان أكثرهـــا **تساؤلات عما بلغ المجمع من صدى توصيات المؤتمـــر السابقة** ، وبعضها يطالب بالتأكيد علـــى السلطات المختصة فيما يتصل بوسائل الاعلام من اذاعة مرئية ومسموعة وصحافة ، وهي في أغلب البلاد العربية **قطاعات عامة تملكها الدولة وتديرها .**

وطالب أعضاء بالعمل على **تقوية صلة مجامع اللغة بالناس** ، وعلى نشر أعمالها وما يصدر عنها من مقررات وتوصيات ، وبالعمل الجـــدي على توحيد المصطلحات بين مختلف الاقطار العربية .

ثم أقر المؤتمرون التوصيات النهائية التاليـــة :

١ ــ يوصي المؤتمر وزارات التربية والتعليم في مصر والوطن العربي بضرورة تيسير تعليم النحو للناشئة في ضوء الصيغة الميسرة التي قدمها الدكتور شوقي ضيف واقرها مجلس المجمع ومؤتمره .

٢ ــ يوصي المؤتمر بأن تعنى وسائل الاعلام ــ صحافة واذاعة مسموعة ومرئية ــ بضرورة الحفاظ على قواعد اللغة العربيـــة ، ونطق الكلمات نطقا سليما ، واعداد العاملين بها اعدادا لغويا وصوتيا ، مستعينة في ذلك بالاساتذة المتخصصين في مجالي النحو والصرفيات

٣ ــ ان الحفاظ علـــى سلامة اللغة العربية يتطلب مـــن الجامعات والمسؤولين في وزارات التعليم ضرورة العناية باستخدام اللغة

العربية السليمة في التدريس ، سواء في فروع اللغة العربية او المواد الاخرى . ومن ثم يوصي المؤتمر بضرورة اعداد المدرسين اعدادا لغويا وصوتيا ييسر لهم استخدام اللغة العربية في التدريس استخداما صحيحا .

٤ ـ يوصي المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويقدر للصحافة ما اخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية بعامة . ويوصي كذلك بفسح مجال أوسع لها مع ضرورة الاهتمام بما تخرجه الهيئات المتخصصة في مجال اللغة العربية وفنونها المختلفة .

٥ ـ ان تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى اليه العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق هو تزويد مكتباتنا بالمصادر العربية القديمة والحديثة ، وتزويدها بفهارس المكتبات الاخرى في العالم العربي ، حتى يتيسر للباحثين انجاز مهامهم العلمية .

وبعد هذا اعلن الدكتور ابرهيم مدكور ، رئيس المؤتمر ، ختام الدورة السابعة والاربعين ، متمنيا للاعضاء الخير والصحة ، آملا اللقاء بهم في الدورة القادمة التي ستعقد ان شاء الله في الاسبوع الاخير من شباط (فبراير) سنة ١٩٨٢ .

الدكتور عدنان الخطيب

المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي

للدكتور عفيف عبد الرحمن
(جامعة اليرموك)

لقد فرضت الصحراء على العرب طباعا وأخلاقا خاصة تناسبهم ، والزمتهم بتقاليد لا يستطيعون عنها حولا ، ثم صارت لهم على مر السنين جبلة وفطرة ، وصارت لهم عنوانا بين الناس . وصقلتهم الحروب التي اكتوت الجزيرة بنارها ردحا من الزمن ، حتى قال شاعرهم مصورا حياتهم خير صورة :

يُغار علينا واترين فيُشتَفَى بنا ان أُصبنا أو نغير على وِترِ
قَسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي الا ونحن على شطرِ (١)

ونستطيع أن نزعم بأن تلك الحياة الجاهلية الضنكة ، والحروب التي اشتعلت ، قد صهرتا ذلك المجتمع وتقاليده ، فنشأت وتكونت مجموعة من القيم والمثل تعارف عليها المجتمع وآمن بها واحترمها والتزم بها . ولكن ذلك لا يعني أن عادات أخرى وتقاليد كانت تصبغ الحياة ، فتسمها بالظلم والفوضى والسفه لم تكن موجودة . والذي سنوليه الاهتمام في هذه المقولة هو اللون الأول من اعراف الجاهلية وتقاليدها ، اي الوجه المشرق من تلك الحياة ، لأننا نظلم تلك الفترة من تاريخ امتنا ان نحن اغمضنا اعيننا عن هذا الجانب ، وقلنا ان العرب لم تكن لهم قيم قط ، وانهم كانوا امة تتخبط في الظلام ؛ والا فبم نفسر تلك الآيات الكريمة التي تجادلهم وتحاورهم ؟ وبم نفسر دخولهم جميعا في دين الله افواجا في زمن لم يتعد احد عشر عاما ، ثم حملوه الى العالم أجمع ؟

---

(١) حماسة ابي تمام ـ شرح المرزوقي ٨٢٦/٢ .

ويبدو ان ذلك المجتمع ، بالرغم من تنافر قبائله وتطاحنها ، وعدم تلمسها واحساسها بشعور الانتماء الى أصل واحد ، اتفق على امور كثيرة وتعارف عليها . وكانوا يجدون من أوقات الفراغ ، ما يجعلهم يحسون بالطمأنينة النسبية مما يجعلهم يشغلون تلك الاسواق ، ويعمرونها بالبيع والشراء والاستماع الى الخطب البليغة ، والاشعار الرائقة الرائعة ، وتبادل الخبرات ، والزواج بل حتى تبادل الأسرى .

لقد تعارفوا على اسواق تشكل في مجموعها سلسلة متصلة تبدأ من اقاصي أطراف الجزيرة في عمان وتنتهي بعكاظ حيث يذهبون الى مكة للحج الى بيت الله الحرام . وكانت أوقات افتتاح تلك الاسواق تبدأ مع الانتهاء من السوق المجاور . ومن أهم تلك الاسواق : دومة الجندل (أول يوم من ربيع الاول) ، وسوق هَجَر (في شهر ربيع الآخر) ، وسوق أدم وقرى الشحر ، وسوق عدن أبين ، وسوق صنعاء ، وسوق عكاظ ؛ ويتوجهون بعد ذلك الى مكة ، فيقفون بعرفة ، ويقضون مناسك الحج ، ويرجعون الى أوطانهم (٢) . وكانت الاوقات المخصصة لتلك الاسواق تتفق وهدنة تعارفوا عليها ، تلك هي الاشهر الحرم (٣) التي لا قتال فيها ؛ ذلك ما آمنوا به جميعا ، يتفرغون فيها للاتصال ببعضهم في المواسم والاسواق ، ويحجون بعد ذلك الى بيت الله الحرام . وتعارفوا أيضا على قوانين تنظم علاقاتهم في أثناء التقائهم في تلك الاسواق يلتزمون بها ، من اهمها ان لا سلاح يحمل في السوق ، بل تودع الاسلحة عند رجل له منزلته ومكانته قبل الدخول الى السوق . وفي هذه الاسواق يتم تبادل الاسرى ، كما يتم حل المظالم التي تعجز القبيلة عن حلها حيث يُبتّ فيها حكام هذه الاسواق الذين يحظون بمكانة مرموقة بين القبائل .

---

(٢) سبائك الذهب (١١٩ ــ ١٢٠) .

(٣) الاشهر الحرم هي : ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب .

ولا يفوتنا أن نشيد هنا بدور هذه الاسواق في بروز طبقة من الحكماء والخطباء والحكام ما زالت وصاياهم وحكمهم تُتناقل بين افواه الناس الى يومنا هذا ، ودورها ايضا في خلق لغة ادبية تعارف عليها الجميع في تلك الاسواق ، وهي اللغة الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، التي تشكلت من لغات القبائل .

وهكذا وُلّدت تلك الظروف من جدب الارض التي يغلب عليها الطابع الصحراوي ، وحياة التحرك للحرب او للسلم ، والاحتكاك فيما بين القبائل في السلم والحرب ، قيما ومثلا تعارف الجميع عليها ، وعملوا بها ، ثم اصبحت مُثلا يفخرون بها ، ويفاخرون بها غيرهم .

وتقتصر هذه المقالة على أهم هذه القيم والمثل .

واول تلك الفضائل والقيم التي حرصوا عليها أشد الحرص ، فمدحوا التمسك بها ، وذموا وهجوا التخلي عنها ، **الكـــرم** ؛ والكرم في اللغة يعني ما استفاده الانسان من خلق كريم ، او طبع عليه (٤) ، وهو ايضا شرف في الشيء في نفسه ، او شرف في خلـــق الاخلاق (٥) ؛ ويُعرِّف ابن الاثير الكريم بأنه الجامع لانواع الخـــير والشرف والفضائل (٦) . فالكرم جماع شرف النسب والسخاء ، واتيان الفعل النبيل . وسنقصر حديثنا على السخاء،لان الصفتين الاخريين ليس مكانهما في هذه المقالة ؛ واتيان الفعل النبيل يكون اعم واشمل من السخاء ، وشرف النسب مما يفاخر به كل عربي

وكانت العرب تمتدح الكريم السخي عندما يشتد القحط ، ويقلّ الزاد ، وتضيق اليد ، يقول المسيب بن علس مادحا القعقاع بن معبد بن زرارة ،

---

(٤) جمهرة اللغة مـــادة (كرم) .

(٥) معجم مقاييس اللغة ـــ ابن فارس ١٧١/٥ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ـــ ابن الاثير ١٦٦/٤ .

الذي كانوا يدعونه بتيار الفرات الذي يسخو ويجود في وقت الشدة والبرد ، حيث يحلّ الجميع ببيته ، وهو بهـذا العمل اجود من الخليج ، ومن هنا جاءت تسميته بتيـار الفرات :

واذا تُهيجُ الريـحُ من صُرّادِها ... ثلجـًا يُنيـخُ النّيـبَ بالجُعجاعِ

احللتَ بيتَك بالجميع ، وبعضُهم ... متفـرق ليحـلّ بـالأوزاعِ

ولأنتَ أجـودُ من خليج مفعَـمٍ ... متراكـمٍ الآذي ذي دُفّـاع (٧)

ويمتدح عمرو بن شأس قوما يجودون في اوقات المحل فيقـول :

المطعمون اذا النجـومُ خَـوَتْ ... واحـاط بالمتوحّـد المحـلُ (٨)

ويكرر المعنى ذاته في موضع اخر فيقـول :

وإنْ يأتِنا ذو حاجة يُلفِ وسطنا ... مجالس ينفي فضلُ احلامها الجهلا

مصاليتُ أيسارٌ اذا هبّـت الصّبا ... نَعفٌ ونُفني عن عشيرتنا الثقلا (٩)

ويقول سلامة بن جندل التميمي في المعنى نفسه :

كنا اذا مـا اتانا صارخٌ فَـزِعٌ ... كان الصراخُ له قَرْعَ الظنابيبِ (١٠)

ويؤكد المعنى نفسه شاعر بني عامر بن الطفيل فيقـول :

اذا سَنة عَزّت وطـال طوالُها ... وأقحَطَ عنها القطر واصفرّ عودُها

وُجِدْنـا كِرامًا لا يُحَـوّل ضَيفُنا ... اذا جُفّ فوق المُنزلاتِ جليدُها (١١)

---

(٧) المفضلية رقم (١١) .

(٨) ديوانه (٤٢) .

(٩) ديوانـه (٤٨) .

(١٠) المفضليـة رقم (٢٢) .

(١١) ديوانـه (٤٦ ـ ٤٧) .

ويحدثنا شاعر آخر هو عمرو بن الأهتم قصة رجل ضلَّ طريقه ليلا ، فاستضافه ، ورحب به ، وقام الى بعير سمين من ابل القوم فنحره ، وظل يطعم الضيف حتى شبع ؛ ثم نام قرير العين مستدفئا من البرد الشديد ، وهو يخبرنا في نهاية القصة أن كل كريم يجب ان يتقي ذم الناس له بالقرى .

وإني كريم ذو عيال تُهِمُّني ... نوائبُ يغشى رُزؤُها وحقوقُ (١٢)

ومستنبحٍ بعد الهدوء دعوته ... وقد حان من نجم الشتاء خُفوقُ

يعالج عِرنينًا من الليل باردا ... تَلفُّ رياحٌ ثوبَه وبروقُ

تألَّقَ في عينٍ من المزن وادقٍ ... له هيدبٌ داني السحابِ دفوقُ

اضفتُ فلم افحش عليه ولم اقل ... لأحرِمَه : ان المكانَ مُضيقُ

فقلت له : اهلا وسهلا ومرحبا ... فهذا صَبوحٌ راهن وصديقُ

وقمنا الى البُرْكِ الهواجد فاتقت ... مقاحيد كُومٌ كالمجادلِ رُوقُ

الى ان يقول :

فبات له منها وللضيف موهنًا ... شواء سمين زاهق وغَبوقُ

وبات له دون الصَّبا وهي قُرَّةٌ ... لحاف ومصقول الكساء رقيقُ

وكل كريم يتقي الذم بالقرى ... وللخير بين الصالحين طريقُ

ويتذكر متمم بن نويره أخاه فيبكيه معددا خصاله :

فَعَينَيَّ هَلَّا تبكيان لمالك ... اذا أذْرتِ الريحُ الكنيفَ المرفَّعا

وللشَّرْب فابكي مالكا ولبُهمةٍ ... شديد نواحيه على من تشجَّعا

---

(١٢) المفضلية رقم (٢٣) .

وضيف اذا ارغـى طُروقًا بَعيرَه وعانٍ ثَـوَى في القِدِّ حتى تكمَّما

وارملـة تمشي بأشعـث مُحْفِلٍ كفرخ الحُبارَى رأسُه قد تضوَّعا (١٣)

ولا يرضى شاعر آخر بنحر الكسيرات المهزولات من الابل ، بل ان قومه ليغتبطون خيار الابل وكرائمهاعند حلـول الضيفان :

ويجلب ضِرسُ الضيف فينا اذا شتا سديف السنام تستريه اصابعه (١٤)

واستهجنت زوج الهذلول بن كعب العنبري ، وقد رأتـ زوجها يطحن للضيفان ، فقال قصيدة منها :

لعمـر ابيك الخير اني لخـادم لضيفي وانـي ان ركبـتُ لفارسُ

واني لأشري الحمد أبغي رُباحَه واترك قِرني وهو خزيانُ ناعسُ (١٥)

وكانت عادة العرب في الجدب اذا استعار احدهم قدرا أن يرد فيها شيئا من الطعام ، وقد عبّر عن ذلك ، بالاضافة الى ايقاد النار في الليل ليهتدي الحائر اليها ، شاعرهم عوف بن الأحوص فقـال :

ومستنبحٍ يخشى القَـواء ودونه من الليل بابـا ظلمة وستورُها

رفعتُ له ناري فلما اهتدى بهـا زجرتُ كلابـي أن يُهِرّ عَقورُهـا

فلا تسـاليني واسالي عن خليقتي اذا ردّ عافي القدر مَن يستعيرُها

وكانـوا قعودًا حولهـا يرقبونها وكانت فتـاةُ الحيّ ممـن يُنيرُها

ترى انَّ قِـدري لا تزال كأنهـا لذي الفروة المقـرور أُمٌّ يزورُها

مبرزة لا يجعـل الستر دونهـا اذا اخمد النيران لاح بشيرُها (١٦)

---

(١٣) المفضليـة (٦٧) .

(١٤) الشعر لجحدر بن خالد ــ شرح الحماسة للمرزوقي ٥١٦/٢ .

(١٥) المصدر السابق ٧٠٠/٢ .

(١٦) المفضلية رقـم (٣٦) .

ويعتبر العربي بذل المال قرى للضيف واغاثة للملهوف ، ودفع دية ، ونحو ذلك ، حقا لازبا لا مفر منه ، ويفخر ربيعة بن مقروم الضبي بقومه الذين يفعلون ذلك ، فيقول :

اليسوا الذين اذا ازمة الحت على الناس تنسي الحلوما
يهينون في الحق اموالهم اذا الزبات التحين المسيما (١٧)

ويفخر الحارث بن حلزة اليشكري بأن قومه يكرمون الضيف حينما يجدب المرعى ، ويشتد البرد ، فان لم يكن في إبلهم لبن عطفوا على القداح فضربوا بها للأضياف ، فنحروا لهم :

واذا اللقاح تروحت بعشية رتك النعام ، الى كنيف العرفج
الفيئنا للضيف خير عمارة ان لم يكن لبن فعطف المدمج (١٨)

وكثيرا ما يقترن السخاء والجود بحميد الفعال ، لان حب الخير يعين على البذل . والشواهد في الشعر الجاهلي اكثر من أن تحصى ؛ وثمة دليل آخر، وهو أن الحديث عن الجود والسخاء يأتي خلال الحديث عن الفخر ؛ وعناصر الفخر في العصر الجاهلي تكاد تكون محددة ومعروفة ، اللهم الا في بعض الحالات الشاذة ، كالفخر ببقر بطون الحبالي . فالجاهلي يفخر بحسبه ونسبه ، ويفخر بالشجاعة ، وبنجدة الملهوف ، وبالكرم ، واغاثة الملهوف ، وبحماية الجار ، وكل تلك القيم التي حرص عليها المجتمع الجاهلي وصقلتها تلك البيئة حتى اصبحت اعرافا وتقاليد التزموا بها .

---

(١٧) المفضلية رقم (٣٨) .

(١٨) المفضلية رقم (٦٢) .

ويعتبر الجاهلي بذل المال سترا ووقاية لعرضه حيث يقـول :

أَجعَـلُ المـال لعِرضي جُنَّـةً ان خير المال مـا ادى الذمم (١٩)

ولا تنقص قلة المال من قيمة الرجل الكريم الحسب والخصال ؛ يقول الطفيـل الغنوي :

اني وان قَـلَّ مالي لا يفارقني مثل النعامة في أوصالها طولُ (٢٠)

ومن هذه القيم حرصهم على المراة ، وقـد كان شديدا ، وتغنـوا بالحفاظ على الشرف والعرض ، ونشبت حروب كثـيرة بسبب محاولة اعتداء قوم على امراة من قبيلة اخرى ، بل بسبب اهانـة تلحق بامراة كما في بعض حروب الفجار . ولعل ذلك قد حملهم على أخذ نسائهم معهم في الحروب حتى لا تتخلف في الحي ، فيأتي قوم ويسبون النساء ، وذلك مما يجلب العار للقبلية . لذلك افتخر شعراؤهم بحماية النساء ، يقول سلامة بن جنـدل التميمي :

بانا منعنـا بالفُروقِ نساءَنـا ونحن قتلنا مَن اتانا بُملزِق (٢١)

ويقارن عمرو بن حوط الرياحي بين قومه واخرين في يوم طِخفة بقوله :

فمـا قوم كقومي حيـن يُخشَى على الخُـوَّد المُخَدَّرة الفِضـاحُ
أَذُبّ عـن الحفائـظ فـي مَعَدٍّ اذا مـا جَدَّ بالقوم النِطاحُ (٢٢)

وقوم ربيعة بن مقروم الضبي يمنعون حريمهم :

طوال الرمـاح غداة الصبـاح ذوو نجدة يمنعون الحريمـا (٢٣)

---

(١٩) المفضلية (٧٨) والشعر للمثقب العبدي .
(٢٠) ديوان الطفيـل الغنوي (٥٧) .
(٢١) ديوانـه (١٦) .
(٢٢) النقائض لابي عبيدة ٦٩/١ .
(٢٣) المفضلية رقـم (٣٨) .

ويفخر الطفيل الغنوي بانه يحافظ على حليلة جاره ولا يخونه :

ولا اخالـــف جاري في حليلته ولا ابن وِدِّيَ غالتني اذا غـــول (٢٤)

وكان من عوامل الثبات والنصر في النهاية في يوم ذي قار ان بعض القادة اشار — حينما رأى قوة الفرس — على القوم بالانسحاب الى الصحراء ، المعقل الطبيعي ، ولكن زعيما آخر مال الى الابل التي تحمل حريمهم فقطع وضنها ، وقال : ليدافع كل منكم عن حريمه • وثبت القوم وانتصروا فـي النهاية (٢٥) .

وقد شبهها بعضهم بالأُتْرُجَّة التي تفوح بالرائحـــة الطيبة :

يحملن أُتْرُجَّةً نَضْخُ العبـــير بها كأن تُطيابها في الأنف مشمومُ (٢٦)

وبالرغم من حرص العربي على صون شرف المرأة الا ان ذلك لم يمنع من أخذهـــم على حين غرة ، فتسبى النساء ؛ وكـــان السبي عارا يلحق بالقبيلة ، ويفخر بـــه المنتصرون ، ويعيرون خصومهم • يقول بشر بن ابي خازم الأسدي معرضا ببني عامر :

بني عامـــرٍ إنّا تركنـــا نساءكم من الشل والايجاف تُدمَى عجوبها

عضاربطنـــا مستبطنـــو البيض كالدمى مضرجـــة بالزعفران جيوبُهـــا

تبيـــت النساء المرضعات برهوة تفزَعُ من خوف الجنان قلوبُها (٢٧)

ويصور عوف بـــن عطية التميمـــي نساء حي فاجاهـــم وفرسان عشيرته ، فيقـــول :

---

(٢٤) ديوانـــه (٥٨) .

(٢٥) انظر قصة يوم ذي قار في تاريـــخ الطبري ، الجزء الثاني ، النقائض ٦٤٣/٢ .

(٢٦) المفضلية (١٢٠) لعلقمة بـــن عبدة .

(٢٧) المفضليـــة (٩٦) .

ولنعـم فتيـان الصباح لقيتـم واذا النساء حواسـر كالعنقـرِ

من بين واضعة الخمار واختهـا تسعى ومنطقها مكـان المئزرِ (٢٨)

تلك كانت منزلة المراة الحرة ، ولكن صنفا آخر مـن النساء لم يكنّ يحظين بهذه المنزلة ، واعني الاماء والقيان ، فقد كانت القينة وسيلة المتعة وقضاء الوقت ، وبخاصة في ليالي الشتاء وأيامه • يقول طرفة معبرا عـن ذلك :

وتقصير يوم الدَّجْن ــ والدجن معجب ــ

ببهكنة تحت الطراف المعمَّد (٢٩)

ويكرر المعنى نفسه عبد المسيح بن عسلة فيقـول :

وسمـاعُ مدجنـة تُعلِّلُنـا حتى نـؤوب تناوم العُجْـم (٣٠)

ويكرر بشر بن عمرو المعنى فيقول :

وتبيت داجنـة تجاوب مثلَهـا خـودًا منعمةً وتضـرب مُعتِبـا

في اخوة جمعوا نـدى وسماحة هُضْمٍ اذا أزم الشتاء تزَعَّبا (٣١)

وكان السبي وما يلحق من عار سببا مباشرا من اسباب وأد بعض العرب بناتهم ؛ ولم تكن هذه العادة السلبية غير الانسانية نادرة كما لم تكن عامة ، ولكنها وجدت • ومن الذين وادوا عددا مـن البنات بلفن تسعا في بعض الروايات قيس بن عاصم ، وقد حدث الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك . وجاء الاسلام ونزلـت في المـؤودة الآيتـان

---

(٢٨) المفضليـة (٩٤) .

(٢٩) معلقتـه .

(٣٠) المفضليـة (٧٢) .

(٣١) المفضليـة (٧١) .

الكريمتان : « واذا المؤودة سُئلت ، بأي ذنب قُتلت » (٣٢) . ومع كل هذه المنزلة للمراة لم يمنع ذلك من وجود بعض الشعراء الذين يفخرون ببقر بطون الحبالى ؛ فهذا عامر بن الطفيل يقول :

بقرنا الحبالى من شنوءة بعدما خبطن بفيفٍ الريح نَهْداً وخثعما (٣٣)

ومن القيم التي برزت في خضم تلك الحياة رفض الذل والهوان ؛ فكان العربي يسترخص الحياة في سبيل دفع المهانة والذل ، يحارب الخصم ويقاتله قتالا انتحاريا ، وهو يعلم تفوّق خصمه عليه ، لدفع الذل الذي يحاول أن يجعله يعيش فيه . يقول ربيعة بن مقروم الضبي :

ودار هوان أنفنا المقام بها فحللنا محلاً كريما (٣٤)

ويقول عنترة في المعنى نفسه :

لا تسقني ماء الحياة بذلّة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل (٣٥)

ويصرخ عمرو بن كلثوم قائلا :

اذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نُقرَّ الذل فينا (٣٦)

وفي يوم ذي قار يقول ابو كلبة :

ان الفوارس من عجل هم أنفوا
من ان يُخلّوا لكسرى عرصة الدار (٣٧)

---

(٣٢) الآيتان (٨ ، ٩) من صورة التكوير .
(٣٣) ديوانه (١١٨) .
(٣٤) المفضلية رقم (٣٨) .
(٣٥) ديوانه (١٣٥) .
(٣٦) معلقته .
(٣٧) تاريخ الطبري ٢١١/٢ .

وتعارفت العرب كلها على **قانون الجوار** ، وكانت القبيلة تجد في حماية الجار مصدر فخر لها ، وان في منعته منعة لها ، وان اي اذى يلحق به يلحق بها ، ولو كان هذا الجار من غير عصبيتها . وتغنّى الشعراء بذلك كثيرا ، يقول عبيد بن الأبرص :

نحمي حقيقتنا ونمنع جارنا ونلفّ بين ارامل الأيتام (٣٨)

ويقول حسان بن نشبة العدوي مادحا تيمًا لانها ابت ان تسلم جارها :

واني وإن لم أفدِ حيًّا سواهُمُ فداءٌ لتيم يوم كلب وحميرا

ابوا ان يبيحوا جارهم لعدوّهم وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا (٣٩)

ويفخر المثقب العبدي باكرام الجار ورعاية حقه فيقول :

أُكرِمُ الجارَ وأرعَى حقَّه ان عرفانَ الفتى الحقَّ كرم (٤٠)

ويقرن ذلك بعدم التعرض للناس في غيابهم ؛ وهو مماثل لما ورد في القرآن الكريم « ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه » (٤١)

فيقول :

لا تراني راتعًا في مجلس في لحوم الناس كالسبع الضرم

ويمدح عدي بن يزيد بن حمار بني شيبان بحمايتهم الجار ومساواته بابناء القبيلة حتى انه لينسى انه جار لهم ، فيقول :

ومن تكرّمهم في المحل انهمُ لا يعلم الجار فيهم انه الجارُ

حتى يكون عزيزًا من نفوسهمُ او ان يبينَ جميعا وهو مختارُ

---

(٣٨) ديوانه (١٢٣) .

(٣٩) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٣٧/١ .

(٤٠) المفضلية (٧٧) وانظر شرح اختيارات المفضل (١٢٧١) .

(٤١) آية (١٢) من سورة الحجرات .

كأنه صَدَعٌ في راس شاهقة من دونه لعناق الطير اوكارُ (٤٢)

ولكن الجوار لم يكن محبوبا وايجابيا دائما ، فقد جاور البرج بن مسهر كلبا ايام حرب الفساد ؛ فلم يحمدهم وتحسر على ايام قومه الخوالي ، وتعهد بانهم لو رجعوا فلن يخاصموا ابناء جلدتهم حتى الممات لئلا يضطرون الى الخروج :

فنعم الحيّ كلب غير انّا راينا في جوارهمُ هَنات
ونعم الحي كلب غير انّا رُزينا من بنينَ ومن بنات
فان الغدر قد امسى واضحى مقيما بين خَبْتَ الى المسات
تركنا قومنا من حرب عام الا يا قوم للأمر الشتات
واخرجنا الايامى من حصون بها دار الاقامة والثبات
فان نرجع الى الجبلين يوما نصالح قومنا حتى الممات (٤٣)

ويفخر حُرَيث بن جابر بتعصبه لحليفه وفزعه لظلمه فيقول :

اذا ظُلِمَ المولى فزعتُ لظلمه فحرّك احشائي وهرّت كلابيا (٤٤)

وعير مساور بن هند قوما لنقضهم العهد ، وقطعهم الرحم فقال :

قتلوا ابن أختهم وجار بيوتهم من حينهم وسفاهة الالباب
غدرت جذيمة غير اني لم اكن ابدا لأولف غدرة اثواني
واذا فعلتم ذلكم لم تتركوا احدا يذب لكم عن الاحساب (٤٥)

---

(٤٢) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٠١/١ — ٣٠٢ .
(٤٣) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٥٩/١ — ٣٦٢ .
(٤٤) المصدر السابق ٣٧٦/١ .
(٤٥) المصدر السابق ٤٣١/١ — ٤٣٢ .

ويوصي العباس بن مرداس غيره بالحفاظ على الجار ، فيقول :

عليك بجار القوم عبد بن حُبْتَر فلا تُرْشُدَنْ الا وجارك راشدُ

فان غضبت فيها حبيبُ بن حبتر فخذ خطة يرضاك فيها الأباعدُ

اذا طالت النجوى بغير أولى القوى اضاعت واضعت خدَّ مَنْ هو واردُ

فحاربْ فان مولاك حاردُ نَصرُهُ ففي السيف مولى نُصرُهُ لا يحاردُ(٤٦)

ويعرِّض جحدر بن خالد بغير قومه الذين يُروَّع جارهم ويغدر به ، فيقول :

ونحن الذين لا يُروَّع جارنا وبعضهمُ للغدر صُمّ مسامعُه (٤٧)

ويعير ابو تمام خصمه بأن جاره سهل المنال كالصيد لمن يطلبه بينما جاره لا يطلب ، ولا يطمع فيه :

فجارك عند بيتك لحمُ ظبي وجاري عند بيتي لا يرام (٤٨)

وكأنما أصبحت حماية الجار والمحافظة عليه جبلة وقانونا يلتزمون به في الجاهلية ؛ يقول عوف بن عطية :

وامنع جاري من المجحفات والجار ممتنع حيث صار (٤٩)

ومن القيم التي فخروا بها صون الامانة ، وعدم التفريط بها مهما كانت الاسباب والنتائج ؛ يقول الشنفرى مفضلا الوحوش على القوم الذين تركهم :

---

(٤٦) شرح الحماسة للمرزوقي ٤٣٧/١ — ٤٣٨ .

(٤٧) المصدر نفسه ٥١٤/٢ .

(٤٨) المصدر نفسه ٥٨١/٢ .

(٤٩) المفضلية (١٢٤) .

هم الرهط لا مستودَعُ السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جَرَّ يُخذَل (٥٠)

ولعل صورة يوم ذي قار تشهد بالصورة المشرقة لتحمّل القبيلة مسؤولية صون الامانـــة ، ولو ادت النتيجة الى ملاقاة جيوش الفرس الجرارة . وقد اصبح هذا اليوم مدعاة لفخر شعراءبكر وتغنّيهم بذلك ، بل لفخر العرب جميعا ؛ فقد اقسمت بكر الا تفرط بتلك الدروع التي اودعها النعمان عندهم ، وان انجم السماء اقرب الى كسرى من تلك الدروع ، يقول الاعشى شاعرهم :

فما حلقـــة النعمان يـــوم طلبتها باقرب من نجم السماء تراقبه (٥١)

ويقسم في قصيدة اخرى بآلهة العرب وبغيرها على الحفاظ على تلك الأدرع مهما غـــلا الثمن :

حلفـــت بالملح وبالرمـــاد وبالعُزّ ى وبالـــلات تُسْلَمُ الحلقـــهْ
حتـــى يظـــل الهـــام منجـــدلا ويقرع النِّيـــل طُرَّةَ الدَّرَقـــهْ (٥٢)

ويخاطب راشد بن شهاب اليشكري قيس بن مسعود الشيباني بشأن تلك الأدرع مؤنبا فيقـــول :

وكنت زمانًا جـــارَ بيتٍ وصاحبًـــا
ولكـــنّ قيســـا في مسامعـــه صَمَمْ

اقيس بن مسعود بن قيس بن خالد
اموفٍ بادراعِ ابـــن طيبة أم تُـــذَمْ
بـــذمٍّ يُغَشّي المـــرء خزيا ورهطَهُ
لدى السَّرحة العَشّاء في ظلها الأدَمْ (٥٣)

---

(٥٠) لامية العـــرب .
(٥١) ديوانـــه .
(٥٢) ديوانه والاغاني (دار الثقافة) ٢٢٩/٢٣ .
(٥٣) المفضلية (٨٦) .

وكان من مظاهر الصلات السليمة في العصر الجاهلي **الاحلاف** ؛ فكانوا يغمسون أيديهم في أثناء عقد احلافهم في طيب أو دم ، ويقولون « الدم الدم ، والهدم الهدم ، لا يزيد العهد طلوع الشمس الا شُدّا ، وطول الليالي الا مُدّا ، مابُلّ البحر صوفه ، واقام رضوى في مكانه » . وربما اوقدوا النار عند تحالفهم ودعوا الله أن يحرم من ينقض عهد الحلف من منافعها . وربما دنوا من هذه النار حتى تكاد تحرقهم ، كما حدث لقبائل من مرة بن عوف الذين تحالفوا عند نار ، فدنوا وعشوا بها حتى محشتهم فسموا به « المحاش » (٥٤) .

ومهما يكن من دوافع هذه الأحلاف ونتائجها فيجب أن لا ننسى انها لعبت دورا كبيرا ايجابيا في تكوين القبائل ، وجعلت القبائل الضعيفة تنضم الى القوية الكبيرة لتحميها ، وتردّ العدوان عنها (٥٥) .

ولا يغيبن عن بالنا أحلاف كانت غايتها دفع الظلم والشر ، أو نشر الأمن في ربوع الجزيرة . وخير مثال لذلك حلف الفضول بين بطون قريش (٥٦) ؛ وسببه أن رؤساء بطون قريش اجتمعوا فاتفقوا الا يدعوا أحدا يظلم احدا الا نصروا المظلوم على الظالم ، وأخذوا له حقه . وانتشر التحالف بين القبائل بصورة أوسع قبيل الاسلام ، ولم تبق خارج هذه الأحلاف الا جمرات العرب (٥٧) ، ولعل انتشار المحالفات كان احساسا من القبيلة العربية بأنها بحاجة الى الانفتاح على غيرها من القبائل ، وربما كان ذلك ارهاصا ببدء **نهضة قوية** أفاد منها الاسلام في توحيد أمة استطاعت حمل رسالته الخالدة الى العالم .

---

(٥٤) الحيوان للجاحظ ٤٧١/٤ .

(٥٥) انظر معجم البكري ٥٣/١ وما بعدها .

(٥٦) المحبر ــ لابن حبيب (١٦٧) .

(٥٧) الحيوان ١٢٣/٥ ، المحبر (٢٣٤) .

وللحليف في المجتمع الجاهلي حقوق وعليه واجبات . ويفخر العربي بأن حليفه لا يضام :

إنّـــا لعمـــرك لا يضـــا م حليفنـــا ابـــدا لدينـــا (٥٨)

ولا يجوز فضّ الحلف أو الغدر بالحليف مـــا دام الحلف معقودا . وحرص المجتمع حينذاك على المحافظة علـــى قداسة الحلف واعتبر المساس به عارا يلحق بالقوم ؛ بل لقد شبهه النابغة بالفجـــور عندما قتلت عبس نضلة الأسدي ، وكان بين أسد وذبيان حلف واراد عيينه بن حصن الفزاري مساعدة بني عبس ، فقـــال محذرا :

اذا حاولتُ فـــي أُسَد فجـــورا فاني لست منـــك ولست منّـــي

همو درعى التي استلأمتُ فيها الى يوم النسار وهـــم مِجَنّي (٥٩)

ويفتخر الحـــادرة بذلك فيقـــول :

إنّا نعـــفّ فلا نريـــب حليفنـــا ونكفّ شُحَّ نفوسنا في المطمع (٦٠)

ومن القيـــم الخالدة التي رسخت معالمها في نفسية العربي الجاهلي **رفضه الضيم** ولـــو كان من اهله وذويه ، لان قبوله يتنافى مع قيم اخرى آمن بها المجتمع الجاهلي فرادى وقبائل . يقول الشنفرى :

ولولا اجتناب الذام لم يُلْفَ مشرب يعـــاش بـــه الا لـــدَيَّ ومأكـــلُ

ولكنَّ نَفْسًا مُـــرَّةً لا تقيـــم بي على الضيـــم الا ريثمـــا أتحولُ

---

(٥٨) ديوان عبيد بن الابرص (١٣٥) .

(٥٩) ديوانـــه (١٩٩) .

(٦٠) المفضلية رقـــم (٨) .

وهو يرفض أن يشعره أحد بأن له فضلا عليه ، ويؤثر عليه أن يستف تراب الأرض :

واستف ترب الأرض كي لا يرى له علي من الطول امرؤ متطول (٦١)

والجاهلي يرى الأرض واسعة يتنقل فيها الانسان اذا احس بأن اذى او ضيما سيناله . يقول الشنفرى في بداية لاميته التي اعلن فيها بتر علاقته بمجتمعه فلجأ الى الصحراء ووحوشها :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك ما بالأرض ضيق على امرىء سرى راغبا او راهبا وهو يعقل (٦٢)

ويعبّر عنترة العبسي عن الروح نفسها حين يقول :

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل (٦٣)

وما الحروب التي تأججت نارها في الجزيرة العربية الا صورة طبيعية لرفض العربي الذل والضيم ، فقد كانت القبائل تحتكم الى سيوفها ورماحها لتردّ الظلم والضيم .

ومن القيم والمثل الايجابية التي عرفها العصر الجاهلي ذلك اللون من الشعر الذي عرف **بالمنصفات** ، وحاول فيه الشعراء الفرسان انصاف خصومهم ، أو خصوم قبائلهم بالرغم من أنهم أعداء لهم . وقد عرفت الجزيرة هذا اللون منذ التقى الفرسان في ساحات الوغى . ويُعتَبر المهلهل بن ربيعة أول من انصف في شعره حين قال في يوم عنيزة :

كأنّا غُدوَةً وبني أبينا بجنب عنيزة رَكَبًا مدير (٦٤)

---

(٦١) لامية العرب .

(٦٢) لامية العرب .

(٦٣) ديوانه ص (١٣٥) .

(٦٤) الاصمعية رقم (٥٣) .

وبدهي أن يرتبط هـذا اللون من الشعر بالمعارك والأيام ، وأن يصدر على السنـة الشعراء والفرسان ، وهـم أولى العرب باحترام تقاليد الفروسية ، فهـم أبوا طعن أعدائهم من الخلف وهم مدبرون ، ولم يعتادوا الغدر ، ولم يقتلوا مقاتلا الا ندًّا في الشجاعة . وان فارسا هـذه تقاليده ليعز عليـه أن يرى خصمه الفارس الشجاع مجنـدلا أمام عينيه على الرغم من أنه هـو الذي صرعه ؛ يعز عليـه ذلك لسببين ، أولهما لانه فارس ويقدر الفارس الشجاع ؛ وثانيهما لانه يتخيل انه سيجندل في يوم من الأيام . وربما كان ذلك بسبب احساس الشاعر الجاهلي بمأساته : مأساة الانسان،وهي الفناء الأبدي ، والتلاشي الى عدم ؛ فكأنما يرثي حاله ونفسه ، وكأنما يبكي مصيره وحتمية ذلـك المصير .

لقد التقى قيس بن زهير العبسي وحمل بن بدر الفزاري ، فقتل قيس حملا ؛ وما أن رآه صريعا حتى هاجت به الذكريات ، وتذكر اشياء كثيرة منها صلات القربى ، وظلم القتيل ، فقال فيه :

تَعلَّمْ أن خـير النـاس حيًّـا ... علـى جفـر الهباءة مـا يريـمُ

ولـولا ظلمـهُ ما زلـت ابكي ... عليـه الدهر ما طلـع النجـومُ

ولكنّ الفتـى حمـل بـن بـدر ... بَغَى،والبَغْـي مرتعه وخيـمُ (٦٥)

واضطر القتّال الكلابي لقتال فارس لم يكن يرغب في ذلك النزال ؛ وتدور الدائرة على خصمه ، ويندم القتّال على مقتله ندما شديداً ، ويقول في قصيدة لـه :

ولمـا رأيتُ انني قـد قتلتـه ... ندمت عليـه أي ساعة مندمِ (٦٦)

---

(٦٥) الحماسة بشرح المرزوقي ٤٢٨/١ .

(٦٦) المصدر السابـق ٢٠١/١ .

وينتزع الفارس المقدام اعجاب خصمه ومنازله ؛ فقد رأى دريد بن الصمة ربيعة بن مكدم،فارس كنانة،وقد انكسر رمحه بعد أن صرع ثلاثة من أصحاب دريد الفرسان ؛ فقال دريد : أيها الفارس ان مثلك لا يقتل ، ولا ارى معك رمحا ، فدونك هذا الرمح . ورجع دريد يثبّط اصحابه عن ربيعة بن مكدم . فانصرف القوم ونجا ربيعة . وأنشد دريد معبرا عن اعجابه بذلك الفارس الخصم :

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله حامي الظعينة فارسا لم يُقتَلِ
اردى فوارس لم يكونوا نُهزَةً ثم استمر كأنه لم يُفعلِ
متهلل تبدو اسرّة وجهه مثل الحسام جُلتْه كف الصَّيقَلِ
يُزجي ظعينته ويسحب رمحه متوجها يمناه نحو المنزلِ
وترى الفوارس من مخافة رمحه مثل البغاث خشين وقع الأجدلِ
يا ليت شعري من ابوه وأمه ؟ يا صاح مُن يكُ مثله لم يُجهَلِ (٦٧)

ولكن الانصاف لم يقف عند حد انصاف فارس شاعر لفارس آخر قتله ، بل ان الشعراء انصفوا خصوم قبيلتهم . والأمثلة في الشعر الجاهلي كثيرة لا يتسع لها البحث ، وهي متنوعة بين قصائد ومقطوعات . لذا سنقصر الامر على بعض الامثلة .

غزا عباس بن مرداس السلمي وقومه بنو سليم مراداً ، ووقف عباس بن مرداس شاعرهم وفارسهم ينصف الاعداء ؛ وبلغ من محاولة الانصاف انه وزع أبيات القصيدة بين قومه وبين اعدائهم ، بل جعل بيت الشعر الواحد مناصفة بينهما ؛ وكان اذا خصص الشطر الأول من البيت لقومه ، جعل الشطر الثاني للأعداء ، وعكس الوضع في البيت التالي :

---

(٦٧) الاغاني (دار الكتب) ٦٦/١ .

فلم أرَ مثل الحيّ حيًّا مصبحـا ... ولا مثلنـا لمـا التقينـا فوارسا

أكـرّ وأحمـي للحقيقـة منهـم ... وأضـرب منا بالسيوف القوانسا

وأحصننا منهـم فمـا يبلغوننـا ... فوارس منـا يحبسون المحابسا

اذا ما شددنا شَدَّةً نصبوا لها ... صدور المذاكي والرماح المداعسا(٦٨)

وثمة شاعر آخر هو المفضل النُكريّ ، من شعراء عبد القيس ، صَوَّر لنا لقاء بين جيش قومه وجيش الاعداء ، فأنصفهم ؛ وها هو ينقل صورة متقابلة للفريقين فيقول :

همو صبروا فصَبْرُهمُ تليد ... على العزّاء آذ بلغ المضيقُ

وهم دفعوا المنية فاستقلّت ... دراكا بعد ما كادت تُحيقُ

تلاقينا بغيبة ذي طريف ... وبعضهمُ على بعض حنيقُ

فجاءوا عارضا بردا وجئنا ... كسيل العرض ضاق به الطريقُ

مشينا شَطْرَهم ومشوا الينا ... وقلنا : اليوم ما تُقضى الحقوقُ

وكم من سيّد منّا ومنهم ... بذي الطرفاء منطِقُه شُهيقُ

فاشبعنا السباع واشبعوها ... فراحت كلّها تئق يفوقُ

فأبكينا نساءهمُ وأبكوا ... نساء ما يسوغ لهن ريقُ (٦٩)

ويصل الانصاف ذروته حينما نرى الشاعر الجاهلي ينصف خصومه الذين هزموه وهزموا قومه ؛ وهذا يمثل ذروة الانصاف والاعتراف بالهزيمة وبتفوق الخصم ؛ فقد سجل لنا البراء بن قيس الكندي اعترافا بهزيمة قومه ، وانصف الاعداء بقوله :

---

(٦٨) الاصمعية رقم (٧٠) .

(٦٩) الاصمعية رقم (٦٩) .

قتلتنـــا تميـــم يومـــــا جديـــدا قتلُ عـــاد وذاك يـــوم الكـــلاب

يوم جئنا يسوقنا الحَيْنُ سَوقًـــا نحـــو قوم كانهـــم أُسْـــدُ غـــاب

وحشَدْنـــا الصميمُ نرجـــو نهابًا فلقينا البُـــوار دون النهاب (٧٠)

ولا يضعف من قيمة هذه الأبيات الا خشيتنا من أن تكون العصبية القبلية قـــد دَفَعَتْ بعض الرواة الـــى انتحالها .

ولبعض الجاهليين **موقف خاص مـن الخمر** ؛ فقد عددت المصادر القديمة لنا نفرا حَرَّمـــوا الخمر في الجاهلية على انفسهم ، ومنهـــم : عامر بن الظرب العدواني ، وقيس بن عاصم ، وصفوان بن أمية ، وعفيف بن معد يكرب ، والعباس بن مرداس السلمي ، وورقة بن نوفل ، والوليد بن المغيرة ، وزيد بن عمر بن نفيل ، وقس بن ساعدة ، وعبيد بن الأبرص ، وأبو ذر الغفاري ، وزهير بن ابي سلمى ، والنابغة الذبياني ، والنابغة الجعدي ، وحاتم الطائي ، وغيرهم (٧١) .

ولم يكن تحريم هؤلاء الخمـــر محض صدفة ، أو لان دينا او عقيدة امراهما بذلـــك ، ولكن ربما كان للتجربة سبب لذلك . يحدثنا صاحـــب الاغاني أن قيس بن عاصم المنقري سَكِر ذات ليلـــة قبل أن يُسلم ، فغمز عُكْنَةَ ابنته ، وفي رواية اخرى اخته ، فهربت منه . فلما صحا من الخمر سئل عما صنع الليلـــة الماضية ، فلم يدر بماذا يخبرهم . فاخبروه بما فعل ، فحرّم الخمر علـــى نفسه ، وقال في ذلـــك شعرا يوضح ما تفعله الخمر بصاحبها ، حيث تذهب بعقله ، وتفضح شاربيها ، وتحيل الرجل الحليـــم سفيهـــا :

---

(٧٠) الاغانـــي (دار الكتب) ٣٣٩/١٦ .

(٧١) المحبر ــ ابن حبيب (٢٣٧) ، امالي القالي ٢٠٤/١ ، نهاية الارب للنويري ٨٨/٤ .

وجدتُ الخمـــر جامحـــة وفيهـــا خصـــالٌ تفضح الرجـل الكريما

فـــلا واللـــه اشربُهـــا حياتـــي ولا ادعـــو لهـــا ابـــدا نديمـــا

ولا اعطـــي بها ثمنـــا حياتـــي ولا أشفـــي بها ابـــدا سقيمـــا

فان الخمـــر تفضـــح شاربيهـــا وتجشمُهـــم بهـــا امـــرا عظيمـــا

اذا دارت حميّاهـــا تَعلّـــت طوالعُ تُسْفِـــه الرجل الحليما (٧٢)

ويضيف الاغاني في رواية اخرى ان قيس بن عاصم هو اول عربي حرمها على نفسه في الجاهلية ؛ وهو القائل فيهـــا :

فوالله لا احسو يد الدهر خمـــرة ولا شَربَةً تزري بذي اللب والفخرِ

فكيف اذوق الخمر والخمر لم تزل بصاحبها حتى تَكشّع فـــي الغدر

وصارت به الأمثال تُضرَب بعدما يكون عميد القوم في السر والجهر

ثم يخاطب شارب الخمر محذرا وناصحا بتركها لان شاربها لا يدري ما يضـــره وما ينفعـــه :

فيا شارب الصهباء دعها لأهلها الغـــواة وسلـــم للجسيم مـــن الأمرِ

فانك لا تدري اذا مـــا شربتَها واكثرتَ منها ما تُريش وما تُبري (٧٣)

واذا كان قيس بن عاصم يطلب من شارب الصهباء ان يدعها لأهلها الغواة فانه يقر بأن فريقا آخر يشربها ، ولكنهم غواة . فهل كان العرب في الجاهلية ينعتون شارب الخمر بالغاوي ؟ ذلك مـــا لا تؤيده الشواهد الشعرية والأخبار التي بين ايدينا . ولكن تلـــك الروايات تحدثنا أن الخمر لم يكن يشربها الا الموسرون ، وقد تحدثوا عـــن مجالس الشرب والندامى .

---

(٧٢) الاغانـــي (دار الكتب) ٨٤/١٤ .

(٧٣) المصدر نفسه ٨٥/١٤ .

ويشاطر عبد المسيح بن عسلة قيس بن عاصم بأن الخمر تذهب بالعقل فيقول :

والخمر ليست من اخيك ولكن قد تخون بآمن الحلم
وتُبيّن الراي السفيه اذا جعلت رياح شمولها تنمي (٧٤)

والحكم والأمثال تمثل فلسفة الحياة الأولى ، ولها في تاريخ الفكر اهمية كبرى لا تدرك الا بالتعمق في دراسة نفسية الشعوب ، ودراسة التطور الفكري عند البشر . وحكم الجاهليين وأمثالهم ــ كما ذهب بعض الباحثين (٧٥) ــ تشيران الى ان الحياة جلاد وكرامة ، وان الحق فيها للقوة ، وأن زينة المرء شرفه . وبمعنى آخر فان الفلسفة الجاهلية فلسفة اخلاقية عملية ، بعيدة عن الميتافيزيقيات ؛ فلسفة مادية روحانية ، وروحانياتها مسحة اخلاقية كريمة .

وقد استوعب الحِكَمُ شكلا اللغة ، الشعر والنثر . يقول زهير في معلقته بعد ان تحدث عن عقد الصلح بين عبس وذبيان :

ومن لا يصانِعْ في امور كثيرة يُضَرَّسْ بانياب ويوطأْ بمنسمِ

ويقول :

رايت المنايا خبط عشواء من تُصِبْ تُمِتْه ومَن تخطىء يعمَّر فيهرمِ

ويقول :

ومن لا يُذُد عن حوضه بسلاحه يُهدَّم ومن لا يظلم الناس يُظلَمِ

وكان **الموت** لغزا رهيبا لا يقوى الجاهلي على حله ، فجعله واقفا حائرا وهو يرى احبته يتساقطون ، ولا يملك تفسيرا لذلك . فالموت

---

(٧٤) المفضلية (٧٢) .

(٧٥) الحكم والامثال ــ حنا فاخوري (١٧) .

سناء مطلق لا رجعة فيه ولا مفر منه . يرثي لبيد اخاه اربد وينظر الى الحياة ونهايتها فيقول :

فلا جزعٌ إن فُرِّق الدهر بيننا ... فكل امرىء يوما به الدهر فاجعُ

وما المرء الا كالشهاب وضوئه ... يحورُ رمادا بعد اذ هو ساطعُ

وما المال والاهلون الا ودائع ... ولا بد يوما أن تُرَدّ الودائعُ

وما الناس الا عاملان : فعامل ... يُتبِّر ما يبني وآخر رافعُ

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ... ومنهم شقيٌّ بالمعيشة قانعُ

فلا تبعدنْ ان المنية موعد ... علينا غدانٍ للطلوع وطالعُ (٧٦)

ويرى طرفة بن العبد الموت الوسيلة الوحيدة التي تساوي بين الناس فقيرهم وغنيهم فيقول :

ترى جثوتين من ترابٍ عليهما ... صفائح صُمٌّ من صفيحٍ منضَّدِ

ارى الموت يَعتام الكرام ويصطفي ... عقيلةَ مال الفاحش المتشدِّدِ (٧٧)

ويرى أن العيش كنز ولكنه ينقص كل ليلة ، وانه آت لا محالة . ولعل استعمال الشاعر لفظة « كنز » يشير الى اهمية الحياة بالنسبة للشاعر ، وللجاهلي بعامة ، وفي استعمالها ما يشرح ويفسر جزعه من الفناء ، كما أن تصويره بالحبل المرخي اشارة الى الحتمية التي لا انفكاك منها :

ارى العيش كنزاً ناقصا كل ليلة ... وما تُنقِص الأيام والدهرُ يُنفدِ (٧٨)

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى ... لكالطِّوَل المرخى وثُنياه باليدِ

متي ما يشأ يوما يُقِدْه لحتفه ... ومَن يكُ في حبل المنيّة يَنقدِ

---

(٧٦) ديوانه (١٦٨ — ١٧١) .

(٧٧) ديوانه (٥٣) .

(٧٨) ديوانه (٥٣ — ٥٤) .

ويسخر امرؤ القيس من الناس ومن نفسه الذين يسيرون فلا يعرفون مصائرهم ، وانهم ضعاف ، ومع ذلك فانهم اجرأ من مجلخة الذئاب :

ارانـــا موضعيـــن لأمـــر غيـــب ونسحـــر بالطعام وبالشـــراب

عصافـــــير وذبّـــــان ودودٌ واجرأ مـــن مجلّخة الذئـــاب (٧٩)

ومن الحكـــم النثرية :

اكثر من الصديق فانـــك على العدو قادر (قالهـــا ابجر بن جابر العجلـــــي) (٨٠) .

والدال على الخير كفاعله (قالها اللجيج بن شنيف اليربوعي) (٨١) .

واذا عز اخوك فهن ، (قالها الهذيل بن هبيرة) (٨٢) .

ومن **القيم الجاهلية البارزة في ذلك العصر ذلك التناقض الظاهر بين ظاهرتين ، اولاهمـــا** نجد فيها الشاعر الجاهلي يحرّض قومه وفرسانهم على تقتيل الاعداء والفتـــك بهم ؛ وهذا ما ليس موضعه هـــذا البحث ، **وثانيتهما** : نجد فيها الشاعر الجاهلي **يدعو الى التسامح والسلم والصلح.** وهذه الظاهرة تبرز بوضوح حينما يكون الفريقان المتصارعان ينتميان الى قبيلة واحدة او الى بطـــن كبير من بطـــون عدنان او قحطان . وكأنـــي بالشاعر ، وهو رائد في قومه وزعيم موجه لسياسة القبيلة ، يحس احساسا عميقا بصلـــة الرحم والقربى ، ويحرص عليها من ان تنقطع اوصالها . فهذا قيس بن زهير العبسي يقتل حمل بن بدر الفزاري ومع ذلك فهو يصرخ حزينـــا باكيا :

---

(٧٩) ديوان امرىء القيس .
(٨٠) الوسيط في الامثال للواحدي (٥٦) .
(٨١) المصدر السابـــق (٤٩) .
(٨٢) المصدر السابـــق (٤١) .

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني

فان اكُ قد بردت بهم غليلي فلم اقطع بهم الا بناني (٨٣)

وسنان بن ابي حارثة يخاطب المثلم بن رياح بن ظالم المُرّي محذرا ومتوعدا :

فَمَنْ مُبلِغٌ عني المثلّم آية

وسهلا فقد نفّرتم الوحش اجمعا

هو آخوتي دنيا فلا تقربنّهم

ابا حشرج وافسح لجنبك مضجعا (٨٤)

ويجيبه المثلم بن رياح ويرد على تهديده :

فَمَنْ مُبْلِغ عني سنانا رسالة وشجنة أَنْ قُوما خُذا الحق او دعا

سأكفيك جنبي وضعه ووساده واغضب ان لم تعط بالحق اشجعا

تصيح الرديني فينا وفيهم صياح بنات الماء اصبحن جُوَّعا

لففنا البيوت بالبيوت فأصبحوا بني عمنا من يُرْمِنا يُرْمِنا معا (٨٥)

ويحاول الحصين بن الحمام المري اقناع بطن آخر من قبيلته حتى لا يكرهوه وقومه على ما لا يحبون :

فيا آخوينا من ابينا وأُمّنا ذروا مولَيْنا من قضاعة يذهبا

فان آنتُم لم تفعلوا لا ابالكم فلا تعلقونا ما كرهنا فنغضبا

ونحن بنو سهم بنِ مُرّة لم نجد لنا نسبا عنهم ولا متنسَّبا

---

(٨٣) شرح الحماسة للمرزوقي ٢٠٣/١ .

(٨٤) معجم الشعراء للمرزباني (٣٨٦) .

(٨٥) شرح الحماسة للمرزوقي ٣٨٣/١ — ٣٨٤ .

متى ننتسب تلقوا ابانا اباكمُ ولن تجدونا للفواحش اقربا (٨٦)

ويتحسر غلاّق مروان على فرقة عبس وذبيان بسبب الرهان بين داحس والغبراء فيقول :

همُ قطعوا الأرحام بيني وبينهم وأجروا اليها واستحلّوا المحارما
فيا ليتهم كانوا لأخرى مكانها ولم تلدي شيئا من القوم فاطما
شأمتم بها حُيَّي بُغيض وغرَّبت اباك فأودى حيث والى الأعاجما
وكانت بنو ذبيان عزا واخوة فطرتم وطاروا يضربون الجماجما (٨٧)

ويصور خالد بن نضلة ما يلقى تارك قومه الى قوم آخرين وما سيلقى فيقول :

لعمري لرهط المرء خيرٌ بقيةً عليه وان عالوا به كل مركب
من الجانب الأقصى وان كان ذا غنى فكلٌ ما عُلِفْتَ من خبيث وطيّب (٨٨)

وتتسع دائرة الانتماء وتتضح عند شاعر من بني عبس فيميز بين فرعي العرب الكبيرين : عدنان وقحطان فيرى القرابة من جهة الحارث بن كعب لانهم من نزار ، لا من جهة جرم وراسب لأنهم من قضاعة من اليمن .

أرِقّ لأرحام أراها قريبة لحارِ بنِ كعب لا لجرم وراسبِ
وأنّا نرى اقدامنا في فعالهم وآنفنا بين اللحى والحواجب
واخلافنا إعطاءنا وإباءنا اذا ما أبينا لا ندرّ لعاصب (٨٩)

---

(٨٦) المفضلية (٩٠) .
(٨٧) شرح الحماسة للمرزوقي ٤٥٥/١ .
(٨٨) المصدر السابق ٣٥٨/١ — ٣٥٩ .
(٨٩) المصدر السابق ٣٢٨/١ — ٣٢٩ .

ويتضح هـذا الانتماء بدرجة كبيرة حتى أن قوما يقتلون شقيق الحارث بن وعلة الذهلي فيحار بين الأخذ بالثأر والعفو بسبب القرابة ، ويعبّر عن ذلك فيقول :

قومي هُمُ قتلوا أميمَ اخي فاذا رميتُ يصيبني سَهمي
فلئن عَفوتُ لأعفُوَنْ جَلَلا ولئن سطوت لأوهِنَنْ عَظمي (٩٠)

د. عفيف عبد الرحمن

---

(٩٠) شرح الحماسة للمرزوقي ٢٠٤/١ .